الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كليات الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مقاومة الخطاب الكولونيالي في رواية "مريم بين النخيل " لمحمد ولد الشيخ أغا

مذكرة تخرج مقدّمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي تخصص: الأدب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالبتين :

- **مخرمش مسعودة**
- **معمري هبة الرحمان**

إشراف الدكتور:

عبد الحميد هيمة

نوقشت وأجرت علنا بتاريخ: ٢٠٢٢/٠٦/١٣

د. نوال قرين	/ أستـــاذ محاضر (أ) /	جامعة قاصدي مرباح ورقلة /	رئيـــسا
د. عبد الحميد هيمة	/ أستـــاذ محاضر (أ) /	جامعة قاصدي مرباح ورقلة /	مشرفـــا
د. حمزة قريرة	/ أستـــاذ محاضر (أ) /	جامعة قاصدي مرباح ورقلة /	منـــاقشـا

الموسم الجامعي :

٢٠٢٢/٢٠٢١ م ١٤٤٣/١٤٤٢

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كليات الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مقاومة الخطاب الكولونيالي في رواية "مريم بين النخيل " لمحمد ولد الشيخ أغا

مذكرة تخرج مقدّمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي تخصص: الأدب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالبتين :

- **مخرمش مسعودة**
- **معمري هبة الرحمان**

إشراف الدكتور:

عبد الحميد هيمة

نوقشت وأجرت علنا بتاريخ: ٢٠٢٢/٠٦/١٣

د.	نوال قرين	/ أستـــاذ محاضر (أ) /	جامعة قاصدي مرباح ورقلة /	رئيـــسا
د.	عبد الحميد هيمة	/ أستـــاذ محاضر (أ) /	جامعة قاصدي مرباح ورقلة /	مشرفـــا
د.	حمزة قريرة	/ أستـــاذ محاضر (أ) /	جامعة قاصدي مرباح ورقلة /	منـــاقشـا

الموسم الجامعي :

٢٠٢٢/٢٠٢١ م ١٤٤٣/١٤٤٢

شكر وتقدير

الحمد لله العلي العظيم الذي منّ علينا بنعمة الصبر والمثابرة لنتم هذا العمل وما كان ليتم إلا بفضله وتوفيقه ، نشكره شكرا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه.

كما نتوجّه بأسمى عبارات الشكر والعرفان إلى أستاذي ومشرفي " عبد الحميد هيمة " على مساندتنا طوال فترة إنجاز هذا البحث والذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته، فقد كنا محضوضتان بإشرافه على مذكرتنا.

إلى الدكتور معراج أغا الذي لم يبخل علينا بدعمه ومساندته طوال فترة إنجاز هذا العمل.

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله وإلى كل من قدم لنا الدعم من افراد العائلة والأصدقاء.

الــمقدمـــــــــة

المقدمة

إن الرواية ليست مجرّد خطاب جمالي يقدّم أحداثًا بأسلوب فني جميل، بل هي أيضًا خطاب فكريّ يعبر عن هوية المجتمع، ويسهم في مقاومة الخطاب الكولونيالي، ولذلك فإننا نحسب أن الأدب وخاصة الرواية تعد ساحة خطيرة يمكنها الكشف عن الخطاب الأدبي في التعبير عن الهوية، وفي مواجهة الكولونيالية، خاصة في الجزائر التي عانت من ويلات استعمار استيطاني عمل على القضاء على كل مقومات الشخصية الوطنية، بفضل سياسته التي قامت على التفقير، والتجهيل، والتنصير، والفرنسة.

وكما هو معروف فقد كانت ولادة الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية نتاج هذا الاحتلال الفرنسي الذي عمل على فرنسة الشعب الجزائري، مما أدى إلى ظهور نخبة من الكتاب الذين كتبوا بلغة المحتل، ولكنهم لم ينصاعوا للاحتلال، بل قاوموه بالكتابة، ومن هؤلاء الأديب الجزائري (محمد ولد الشيخ آغا)، الذي كان من أوائل الكتاب الذين تركوا نصوصا روائية مقاومة للكولونيالية أثناء الحقبة الاستعمارية و ليس بعدها كما يشيع عند الباحثين"ما بعد الكولونيالية "، فقدم خطابا مضادا الكولونيالية.

من هنا يأتي هذا البحث الموسوم ب : مقاومة الخطاب الكولنيالي في رواية " مريم بين النخيل " لمحمد ولد الشيخ آغا، لتسليط الضوء على مسيرة ونضال الأديب محمد ولد الشيخ آغا، الذي دافع عن الجزائر من خلال أعماله الأدبية الروائية، ومن أهمها، روايتة المشهورة " مريم بين النخيل" (**Myriem dans les palmes**)، التي أصدرها سنة ١٩٣٦، في مدينة وهران، والتي أعاد ديوان المطبوعات الجامعية نشرها سنة ١٩٨٥، وتعتبر من أشهر أعماله وأبرزها، وهي تتحدث عن صعوبة الاندماج، وحوار الديانات، وتنتصر للهوية الجزائرية في جميع أبعادها.

وهذا ما يطرح عدة تساؤلات أهمها، إلى أي مدى استطاعت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية مقاومة الفكر الكولونيالي؟ ما دور رواية مريم بين النخيل في مقاومة هذا الفكر الكولونيالي؟ و الانتصار للهوية الوطنية؟ وما أهم الأنساق الثقافية في هذه الرواية ؟ .

أما عن أسباب اختيار هذا الموضوع فيمكن الإشارة إلى جدة هذه الرواية و التى لم تلق حقها بعد من الدراسة كغيرها من الإعمال الروائية التي كتبت أثناء الحقبة الاستعمارية، ونحن أتعجب من عدم اهتمام النقاد بمثل هذا العمل الذي وصل لمرحلة وعي متقدمة قياسا لما كان يكتب في تلك الفترة وخاصة أن الرواية كانت من وحي شاب يافع في مقتبل عمره وما زال في بدايات مشواره الأدبي ، فماذا لو أنه عاش لفترة أطول ؟

وللإجابة على هذه الأسئلة ، تم الاعتماد على عدة دراسات سابقة أهمها :

- ثقافة المقاومة عند ادوارد سعيد أ. طاهر سلت
- المقاومة الثقافية مطلع القرن العشرين بالجزائر محمد بن أبي شنب
- المرجعية الثقافية و البعد الفكري أعمال الملتقى الدولي بجامعة الجزائر الهواري غزال ، وهذه الدراسة تهدف إلى الكشف عن الأنساق المضمرة وجملة الرموز المتوارية خلف البنية اللغوية، كما تعمد إلى إبراز البعد المقاوم للكولونيالية في الرواية ،وكيف أنها تمثل الهوية الوطنية .

بالنسبة للمنهج فإن طبيعة البحث تقتضي الاعتماد على النقد الثقافي، الذي يسعى إلى الكشف عن الأنساق المضمرة في الرواية، ويستنطق الرؤية الفكرية التي تستتر خلف البنية اللغوية لهذا العمل الأدبي.

أما هيكل البحث فاشتمل على مدخل عام، و فصلين، و خاتمة اشتملت على أهم النتائج المتوصل إليها .

التمهيد تناول الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، ودورها في مقاومة الكولونيالية كما قدمنا تعريفا بالخطاب الكولنيالي والخطاب المضاد للكولونيالية

الفصل الاول: فتمت عنونته بأبعاد المقاومة في رواية مريم بين النخيل وقد تضمن عدة عناصر وهي:

- مناهضة الكولونيالية في الرواية/ الصراع بين الأنا والآخر
- دلالة العنوان وارتباطه بالبعد المقاوم
- أبعاد الشخصيات المقاومة .

أما الفصل الثاني فقد عنون بالأنساق المضمرة في الرواية، وقد تضمن

- النسق الاجتماعي / العادات والتقاليد
- النسق الديني
- النسق السياسي .

أما عن أهم الدراسات السابقة التي اعتمدنا عليها بالدرجة الأولى فهي :

– دراسات بيل اشكروفت " الرد بالكتابة و دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسة و الإمبراطورية ترد بالكتابة "

– أنيا لومبا في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، وتعد من البحوث الأساسية في الدراسات مابعد الكولونيالية، و هذه الدراسات ساهمت بشكل كبير في خدمة الموضوع وتوضيح رؤية البحث.

بالنسبة للصعوبات ، فقد واجهتنا عدة تحديات أهمها جدة هذه الرواية وحداثة ترجمتها ، حيث أنها صدرت ترجمتها إلى العربية منذ سنتين فقط ، ما ادى إلى عدم وجود دراسات سابقة تناولتها ، و بحسب إعتقادنا فإننا نعد السباقون لهذه الدراسة ، وكان لأستاذنا المشرف **عبد الحميد هيمة** الدور الأكبر في توجيهنا، فقد عمل جاهدا على توفير ما نحتاجه من

مراجع مناسبة تخدم البحث بشكل كبير، بالإضافة إلى سعيه الحثيث إلى تيسير فهم المدونة قدر الإمكان وضبط خطة البحث بتوجيهاته و إرشاداته السديدة.

في الختام لا يسعنا إلا أن نتقدم بواجب الشكر لكل من قدم لنا يد العون والمساعدة في إنجاز هذا البحث، كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر لمكتبة القسم على المساعدات والتسهيلات المقدمة، و الشكر موصول للجنة المناقشة على التوجيهات المقدمة، ونأمل أننا استطعنا إضاءة هذا الموضوع بالقدر المتاح، وحسبنا أننا فتحنا مجالا للبحث يستحق الدراسة لمن سيأتي بعدنا من الطلبة .

و الله من وراء القصد

ورقلة في ٠١ جوان ٢٠٢٢

التـــمهيـــــــــد

تمهيد: مدخل للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية في مقاومة الكولونيالي:

١- نشأة الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية:

إذا أردنا تتبع المراحل التى مرت بها الرواية الجزائرية بصفة عامة والرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية بصفة خاصة نجد أنها مرت بفترتين بارزتين ولكل منهما خصوصيتها، وهما الفترة الاستعمارية والتي تتميز بنقل معالم الدمار والظلم وكل مظاهر التخريب، والأخرى هي فترة النضال والمقاومة وهي التي شهدت رفض الرضوخ والاستسلام لوطأة المستعمر وبذلك نجدها تتراوح مابين هاتين الفترتين.

وبالحديث عن الرواية الجزائرية فان الرواية المكتوبة بالفرنسية قد هيمنت بشكل واضح على المشهد الأدبي، ويرجع ذلك إلى اعتبارات عدة أهمها :

- توفر كتابات ناضجة وجادة باللغة الفرنسية أسهمت بشكل واضح في تكوين الفن الروائي الجزائري، وهذا راجع إلى طرق الاحتلال الفرنسي، الذي حارب اللغة العربية، وعمل على نشر لغته الأجنبية، وبهذا فقد انتشرت الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية بهذا فقد " قطعت أشواطا كبيرة ،وحققت انجازات فنية ضخمة لا على المستوى المحلي وحده ولكن على المستوى العالمي كذلك "[١].

- إن الكتاب الأوائل تبنوا الثقافة الغربية عن طريق كتاباتهم فنجد منها ما يوحي بالود والشغف لفرنسا، ومن هؤلاء شكري خوجة في روايته الأولى " المؤمؤن " ١٩٢٨، في هذه الرواية البطل مأمون يقول في أحد مقاطعها "... تمتلك فرنسا حقوقا علي، وأنا اشعر برغبة غامضة أن أقدم شيئا يقيدها ... وأنا العربي لي هدف. وهذا رائع أن أجده في فكرة الوطن

[١] واسيني الأعرج ،اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ،البحث في الأصول التاريخية والجمالية ،الشركة الوطنية للكتاب الجزائري .ط ١. ١٩٨٦، ص ٨٢

التي بدأت تتفتح بداخلي ."[٢] نشير أيضا مدرسة الجزائر" l'ècole d'alger" والتى برزت كتيار أدبي في الجزائر سنة ١٩٣٥ والتى كانت ... من ابرز روائيها البير كامو، فقد كانت هذه المدرسة على غرار المدراس الأخرى تحمل رؤية عالمية إنسانية في الظاهر وفي الباطن تخضع لسلطة الاستعمار الذي يقف في وجه التيارات الجزائرية، فقد كان البطل الفرنسي هو الذي تسلط الأضواء عليه على حساب الإنسان الجزائري الذي بقي مجهولا مهمشا وفي المراتب الدنيا، ولهذا السبب يصعب وضع الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية مع الأدب الفرنسي المكتوب على أرض الجزائر في خانة واحدة، فكل منهما ينبع من خلفيته وإيمانه بقضيته ورؤيته الخاصة ومن منطق توجهات سياسية وجمالية متناقضة، فقد كان الأدب الفرنسي يتماهى مع الفكر الكولونيالي، بل إنه كان يهدف إلى خدمة هذا الفكر، والترويج لأفكاره.

أما الكتابات الجزائرية، فقد جاهدت لفضح الحياة الاجتماعية المعتمة زمن الاستعمار وسعى الكتاب إلى المشاركة بشهاداتهم وإعلانهم لرفض الواقع و الاعتراض عليه، و حتى دفع القارئ إلى الاعتراض أيضا، فهؤلاء الأدباء حاولوا نقل الحقيقة بأدبهم في حين فشل فيه العديد من الكتاب نقل الصورة الصحيحة حسب مصطفى الأشرف " إن هذا الأدب رغم نقائصه تمكن من نقل الواقع الجزائري لأول مرة في حين عجز آخرون أمثال كامو في إمتلاك الشجاعة لذلك (...) ينبغي القول أن هذا الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية من الجانب التقني و الفني الجمالي كان وليد الجيل التلقائي و قارب قمة الصراحة ".[٣]

---

[٢] أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية دراسة سوسيو نقدية أطروحة لنيل دكتوراه في النقد الأدبي الحديث ،جامعة وهران ٢٠١٠/ ٢٠١١، ص ٢٣، Jean d'ejeux .situation de la littérature maghrébine de langue française .P ٢٤

[٣] المرجع نفسه ، ص٣٠، نفسه Jean d'ejeux .situation de la littérature maghrébine de langue française . ed ٨٢ office de publications universitaires .P٣٣

ونجد أيضا مولود معمري في أحد الملتقيات يقول " لقد أردنا أن يفهم الأوروبي حقيقة إفريقيا كما تحس من الداخل ، إذ كان عدد القراء الأفارقة قليلا بسبب قضية الأمية، فنحن مجبرون أن نعرف بأنفسنا وأن نعرف بهذا الوطن لحملة الأحكام المسبقة عن إفريقيا، إذن فنحن أجبرنا على الكتابة ولكن للأسف و للغرابة لكم أنتم الأوروبيون"[٤]

و لم يكن من السهل على هؤلاء الكتاب الجزائريين التخلي عن لغتهم (العربية، الأمازيغية) و اللجوء إلى إستخدام لغة المحتل و الكتابة بها إلا بسبب واقع قد فرض عليهم كما فرض الاحتلال نفسه قصرا لا طوعا على الشعب الجزائري، فلم يكن لهم خيار أخر غير اللغة الفرنسية والتي كانت أداة وحيدة لإيصال أدبهم، و إظهار حقيقة الأوضاع التي تفرضها فرنسا، وهذا شكل رفضا من قبل بعض النقاد الفرنسيين أمثال كامو "Kammu" وقد رفض أن يكون استخدام اللغة الفرنسية كأداة لمحاربة المبادئ الفرنسية وكشف الشعارات المزيفة يقول "مرة أخرى يظهر كاتب . محمد ديب . الذي برع في لغتنا ليحدث جرحا عميقا، فلا يصدق مطلقا أن مدينة تلمسان يموت جميع الناس جوعا "[٥]

ومع أن المدارس الفرنسية قد فتحت أبوابها المعرفية والتعليمية لفئة محددة ولم يكن الجميع معنيا فعلى غرار الفرنسيين والأوروبيين وأبناء الجاليات المهاجرة وأبناء العائلات الموالية للإدارة الفرنسية نجد طالبا أو اثنين من أبناء العامة الجزائريين.

ومن هنا فإن الكتاب الجزائريين الذين كتبوا باللغة الفرنسية ونهلوا من مصادرها الثقافية الناتجة عن الظروف التي عاشتها الجزائر فقد كانت الثقافة الوحيدة المسموح بها آنذاك، فقد حرم الجزائريون من لغتهم العربية، اللغة الأم، وهذا الذي كان من الأساليب الاستعمارية لبث الجهل و طمس هوية الجزائري.

---

[٤] أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية دراسة سوسيو نقدية، ص٣٠ ، Jean d'ejeux .situation de la littérature maghrébine de langue française . ، ص٤١

[٥] المرجع نفسه ، ص ٣٦ ، Josette Bryson , la grande Maison et sa réception critique dans la Presse (Euvres et critiques revue internationale), ص٨٤

وهذا ما يصرح به جان بول سارتر حيث يقول "ولكننا على كل حال أردنا أن نجعل من إخواننا المسلمين شعبا من الأميين وبلغ عدد الجزائريين الأميين (٨٠) ثمانون بالمئة، قد كان الأمر يهون لو أننا لم نحرم عليهم استعمال لغتنا، ولكن الواقع أن متطلبات النظام الإستعماري أن يحاول سد طريق التاريخ على المستعمرين، ولما كانت المطالب القومية في أوروبا تعتمد دائما على وحدة اللغة، فقد حرم على المسلمين استعمال لغتهم بالذات، إن اللغة العربية في الجزائر لغة أجنبية منذ عام (١٨٣٠) إنهم لا يزالون يتحدثون بها و لكنها كفت أن تكون لغة مكتوبة إلا بالقوة لا بالفعل، وليس هذا كل شيء، فالإدارة الفرنسية صادرت دين العرب، لكي تبقيهم في التجزئة و التفتت، فهي تختار رجال الدين الإسلامي من بين عملائها، و لقد حافظت على أحط أنواع الخرافات التي تعرف بين الناس"[٦]

إذا فإن حبر الكاتب لا يقل قسوة عن السلاح الحربي، و لأن الكلمات تفعيل و حركة كما يقول جان بول سارتر، فالمشاركة بالكتابات الجزائرية كان لها دور كبير في تعزيز الفهم الأمثل للأوضاع في البلاد، إذا فالكتابات الجزائرية المكتوبة بالفرنسية في تلك الفترة تعد خطابات مقاومة للكولونيالية و هي نوع أخر من أنواع النضال، و هذا يظهر في قول معمري" إنني على ثقة أكيدة بأن المناضل هو الذي يطلق النار على الآخرين، وفي الإمكان أن نطلق العبارات النارية بواسطة القلم، هذا حال الكاتب"[٧]

٢- الرواية الجزائرية و الكولونيالية:

لفظة الكولونيالية، هي مرادفة لكلمة "الإستعمار" حسب قاموس أكسفورد للغة الإنجليزية فإن كلمة Colonialisme مشتقة من كلمة Colonia كولونيا و هي تعني مستعمرة أو مزرعة ،و لقد جاء في نفس المعجم كلمة مستعمرة وتعني مجموعة من الأفراد يستقرون في

[٦] جان بول سارتر ، عارنا في الجزائر ،ترجمة عائدة سهيل إدريس، دار الأداب ، صفحة ٢٢ .عن أمين الزاوي ، الرواية المكتوبة بالفرنسية، ص ١٣

[٧] عايدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري ،ديوان المطبوعات الجامعية سنة ١٩٨٢ ،صفحة ١٣٧.

منطقة جديدة و يشكلون جماعة خاضعة لدولتها الأم أو مرتبطة بها[٨] يقول بيل إشكروفت أن الكولونيالية هي "فترة الحكم الإستعماري داخل المستوطنات قبل حصول هذه الأخيرة على الإستقلال ،كما يعتبره أيضا ذات أهمية في تحديد الشكل المحدد للإستقلال الثقافي الذي تنامى بالتزامن مع التوسع الأوروبي خلال

القرون الأربعة الفائتة"[٩] و يضيف بأنها "إقامة مستوطنات على أرض بعيدة"[١٠]

و يعني هذا السيطرة التي تفرضها الدول الكبرى التي تتمتع بالنفوذ و القوة على دول أو شعوب ضعيفة ، و ذلك بالقوة العسكرية عن طريق غرس مجموعة بشرية في تلك الدول المستعمرة بدافع الحضارة و الرقي و القومية و هذا يتم بالسلطة العسكرية و العنف ،و أكبر و أبرز مثال على هذا الإستعمار الفرنسي في الجزائر و إعتبار هذه الأخيرة مقاطعة فرنسية و إمتدادا لها.

أ- مفهوم الخطاب الكولونيالي **colonial discoure** :

بالنظر إلى التوسع الذي احدثته الكولونيالية على جميع الميادين السياسية والإقتصادية وغيرها فهي بطبيعة الحال قد شملت باقي الميادين العلمية ،وبالتالي فإن هذا يجعل من الأدب وسيلة إستخدمها الإستعمار في بسط سيطرته بطريقة أكثر سلاسة ،وبما أن الخطاب الإستعماري قد نشأ داخل المنظومة الكولونيالية فهو بذلك أداة إستخدمتها الكولونيالية لفرض سلطاتها ف " الخطاب الكولونيالي هو مركب العلامات والرموز والممارسات الذي ينظم الوجود الإجتماعي داخل العلاقات الكولونيالية "[١١]،بذلك فإن الخطاب هو تجسيد لتلك الأفكار والتوجهات والإديولوجيات التي تفرضها دول المستعمر على تلك الشعوب ،وبتعبير أدق هي جملة الأفكار الإمبريالية التي قامت بتجسيدها المستوطنات في كل من إفريقيا وآسيا.

---

[٨] ينظر، المرجع نفسه، ص ١٧

[٩] بيل أشكروفت و أخرون ، دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية، ص ١٠٥

[١٠] المرجع نفسه، ص ٢٠٥

[١١] المرجع نفسه، ص١٠١

"فالخطاب الكولونيالي منظومة من المقولات التي يمكن إطلاقها من المستعمرات والشعوب المستعمرة، وعن القوى المستعمرة وعن العلاقات بينهما، وهو منظومة المعرفة والمعتقدات بشأن العالم الذي تحدث داخل أركانه أفعال الإستعمار وعلى الرغم من هذا الخطاب يتم توليده داخل مجتمع المستعمرين وفي حدود ثقافتهم، فقد صار هو الخطاب

الذي قد يرى المستعمرون أنفسهم داخله أيضا "[١٢]

تقول أنيا لومبا عن الخطاب الكولونيالي أنه ما هو إلا مصطلح جديد ووهمي عن الإستعمار "إنه بالأحرى يدل على طريقة جديدة تشترك فيها عمليات ثقافية وفكرية وإقتصادية أو سياسية معا في تشكيل وإدانة وتعرية الإستعمار"[١٣]، وبهذا فإن التعرية الإستعمارية تظهر النظرة الدونية التي ينظر بها المستعمر لتلك الدول المضطهدة والتي تحاول أن تتخذها كحجة للسيطرة عليها و إستبدالها بأخرى غربية كما تدعي، وهذا بحد ذاته يشكل تلك الصورة التي يعتمد عليها الخطاب الكولونيالي، صورة التمايزات والفروقات العرقية التي برزت مع الإمبريالية الغربية.

فالخطاب الكولونيالي يصور الشعوب الأخرى مهما كانت ثقافتها إلا أنها تبقى في نظرهم دائما بدائية و متخلفة مقابل شعوب المستعمرين المتحظرة[١٤]، وهذا ما يميز الخطاب الكولونيالي الذي يتخذ التمييز العنصري دائما كذريعة ينتهك من خلالها حقوق تلك الشعوب المستضعفة ،فيطرح فكرة العرق أو الفرد الغربي الأوروبي على أنه دائما متفوق على باق الأجناس البشرية الأخرى، فالتصور الأوروبي يقوم على نظرية ثنائية للعالم ، نظرية الفروقات العرقية والثقافية والإجتماعية التي من خلالها أسست لكل تلك الحدود الواهنة الممتدة لوقتنا الحاضر، نظرية الأبيض والأسود، البربري والمتحضر، المتمدن الراقي والقروي المتوحش الجاهل الأمي الذي دائما يتصف بالهمجية والتخلف، وهذا كان من أبرز الذرائع الواهنة التي إستخدمتها فرنسا والتي تعد نفسها حاملة للواء التحضر إلى إفريقيا وإنقادها من الظلمات وهي نفسها طرحت

---

[١٢] المرجع نفسه، ص١٠١.

[١٣] أنيا لومبا، في نظرية الإستعمار وما بعد الإستعمار الأدبية، ص ٦٤.

[١٤] ينظر، بيل أشكروفت وآخرون، دراسات ما بعد الكولونيالية، ص ١٠٢.

الزنجي الأدنى عرقا في السلالة البشرية وأنه خلق فقط لخدمة الرجل البيض أي خلق للإستعباد، فهذا الزنجي دائما يعتبر كطفل لقيط وليس هذا وحسب، بل حتى أن الإستعمار الذي يخضع له الرجل الأسود يعد حسب طرحهم "تبني" وأنه من الشرف له حصوله على التبني من طرف الرجل الأوروبي الأبيض الذي دائما يتمركز في أعلى الهرم الوهمي، الذي له الأفضلية والأحقية في إستعمار هذه الشعوب و تبنيها [١٥]، وهذا ما تخفيه عباءة الإستعمار التي تسمى بالخطاب الكولونيالي والذي يقر بدونية وبدائية الأعراق الأخرى مقارنة مع العرق الأوروبي، والهمجية التي تتسم بها المجتمعات المستعمرة ،فبهذه الحقيقة لمخفية للإستعمار تسعى إلى سلب ثرواة الشعوب المضطهدة لخدمة مصلحها و إعلاء مكانتها السياسية والإقتصادية [١٦]" كان الخطاب الإستعماري قويا ومحكما ومؤثرا شأنه في ذالك شأن الوسائل التي وصلته إلى الشرف والإمتثال للقوة الاستعمارية رافقه امتثال لخطابها في وصف الظواهر الأدبية والفكرية، وتم استبعاد أشكال التعبير كافة التي لا تنطبق عليها الأوصاف الجاهزة فهمشت وصارت خارج مدار الاهتمام، نبذت لأنها تذكر بمرحلة ما قبل التحديث الغربي"[١٧].

فالخطاب الكولونيالي الإستعماري ماهو إلا جملة الأفكار الغربية التي تشحنه ليكون في واجهد الأهداف الخفية، تجعله يتصدر الطريق لتعبيدها لأهدافه وتختلف الخطاب بإختلاف الأهداف "فالثقافات التي قاومت التغلغل الإستعماري نعتت بالهمجية وكان ذالك مبررا للقضاء عليها أما الثقافة التي رضيت بالحكم الإستعماري وربما تعاونت مع السلطات الإستعمارية في إقامة المستعمرات، فإنها كانت توصف عموما بالثقافات المتحضرة والمحبة للسلام ولا تزال هذه النظرة سائدة إلى اليوم عبر ما يسمى بقانون تمجيد الإستعمار"[١٨]

---

[١٥] ينظر، بيل أشكروفت وآخرون، الرد بالكتابة المنظومة العربية للترجمة، بيروت لبنان، ط١ ٢٠١٠، ص ٤٥

[١٦] ينظر ، بيل أشكروفت وآخرون، الرد بالكتابة ، ص ١٠٢.

[١٧] عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط١ ٢٠٠٣،ص ١٢

[١٨] طارق ثابت، هوية الأدببين الحضور والغياب في الخطاب النقدي العربي ما بعد الكولونيالية، مجلة الأثير،ع١٢، ديسمبر ٢٠١٤، ص ١٠٤.

"فالمستعمر مبني داخل الخطاب الكولونيالي الأساسي المعوق وهو الخطاب الذي يحدد تدني مرتبة السكان الأصليين بغية تبرير غزوه وما يترتب عليه من توليه حكمهم "[١٩]

ب- الخطاب المضاد للكولونيالية:

الخطاب المضاد أو السرد المضاد أو كما هو شائع الخطاب مابعد الكولونيالي، وتعد الدراسات مابعد الكولونيالية من أهم الدراسات التي ظهرت بعد زوال الاستعمار لتعيد تشكيل الصورة وطريق التحليل الثقافي "ويتناول مفهوم ما بعد الكولونيالية أثار الاستعمار على الثقافات والمجتمعات"[٢٠] وهذا يعني الفترة التي خلفت الإستعمار وحصول الشعوب المستعمرة على استقلالها و"مصطلح مابعد الكولونيالية أفرزته الفترة المعاصرة في منتصف القرن العشرين، ويعد من المصطلحات الشائعة في عديد الميادين الثقافية ،نظر لما يتضمنه من شمولية وأتساع يجعلانه يتمتع بنوع من المرونة تؤهله لأن يستخدم في كثير من المجالات وهو يشير بالتأكيد إلى تلك المرحلة التي أعقبت التخلص من الهيمنة الإستعمارية، والاحتلال العسكري الغاشم مباشرة من أجل تحليلها إلى جانب تعبيره عن حركة النقد الأدبي والاجتماعي حاولت الرد على الإمبريالية الغربية الأوربية، وما تسبب فيه من أثار تبعة على الشعوب"[٢١] وهذا يعني دراسة الإفرازات الثقافية التي خلفها الاستعمار وكيفية السيطرة عليها.

إن مصطلح مابعد الكولونيالية، هو مصطلح يشمل الثقافات التي تأثرت بالإستعمار والإمبريالية منذ بدايتها إلى يومنا هذا فمصطلح مابعد الكولونيالية يمتد "ليشمل كل ثقافة تأثرت بالعملية الإمبريالية منذ اللحظة الكولونيالية حتى يومنا هذا لاستخدام إلى استمرار هذا الاشتغال طوال العملية التاريخية التي بدأت بالعدوان الإمبريالي الأوربي".[٢٢]

إذا فإن مصطلح مابعد الكولونيالية لا يتضمن فقط المرحلة الي عقبت الإستعمار ،يشمل

---

[١٩] بيل أشكروفت وآخرون، الرد بالكتابة، ص ٢٩٢.

[٢٠] بيل أشكرفت وآخرون، دراسات مابعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية، ص ٢٨٢

[٢١] أمال علاوشيش، مابعد الكولونيالية ،ضمن كتاب خطابات الى ما بعد، مجموعة مؤلفين، ط١ ٢٠١٣، ص ٤٣,٤٤

[٢٢] بيل أشكروفت وآخرون ، الرد بالكتابة، ص ١٦

أيضا الفترة الإستعمارية منذ بدايتها حتى يومنا هذا، وقد " انتشر مصطلح ما بعد الكولونيالية في الأوساط المثقفة الأوربية والأمريكية وبين باحثين تعود أصولهم إلى المستعمرات القديمة خاصة الهند "[٢٣]، وهم نخبة من المثقفين اتيحت لهم فرصة الدراسة في الخارج، وقد أثبتوا جدارتهم في هذا المجال أمثال سبيفاك، بالإضافة إلى فئة من المغتربين من عرب وأفارقة وهنود، ومن الجزائريين يمكن نشير إلى مصطفى الأشرف على وجه الخصوص.

" إن مصطلح ما بعد الكولونيالية يقودنا في حقيقة الأمر إلى حالة الصراع بين مختلف القوة بخاصة من طرفي الصراع أي المستعمرة والمستعمر، وكان مصطلح "آلمابعد" ينبأ عن الانتقال من وضع معين له خصوصياته إلى وضع آخر مختلف تماما بينما واقع الأمر هو غير ذلك بشكل مطق فالمستعمر مازال حاضرا بمختلف صنوف تهديداته، بل وبأساليب أكثر نقيا و نجاعة"[٢٤] و بهذا فهو يقوم بدراسة وتتبع ذلك الامتداد الخفي للاستعمار المتمثل في الإمبريالية الخفية أو العولمة بوسائل أكثر تجسيدا للفكر الاستعماري بطرق غير مباشرة و غير معلنة إذا تتبع تلك القوى والمعرفة وذلك الإخضاع الثقافي بين الشعوب التي خضعت للإستعمار أو حتى التي لا تزال تحتى وطئته، وأننا أصبحنا في مرحلة "ما بعد" في حيث أن معظم الأمم تزال خاضعة ثقافيا واقتصاديا للدول الصناعية الغنية عبر أشكال متنوعة من الإستعمار الجديد حتى وإن كانت مستقلة إسما"[٢٥] فهي لا تدل على شيء سوى أن الشعوب تخلت في مرحلة ما بعد الإستقلال وحسب.

" كما يستخدم مصطلح ما بعد الكولونيالية أو ما بعد الإستعمار ليغطي كل الثقافات التي تأثرت بالعملية الإمبريالية في لحظة أو فترة الإحتلال إلى يومنا هذا ذلك أن هناك خيط متصل من الإنشغالات على مدار العملية التاريخية التي بدأها العدوان الإمبريالي ...

---

[٢٣] المرجع نفسه، ص ٤٤

[٢٤] أمال علاوشيش، ما بعد الكولونيالية، ص ٥٥

[٢٥] بيل أشكروفت وآخرون، الإمبراطورية ترد بالكتابة، تر، خيري دومة، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط١١ ،٢٠٠٠، ص ١٠٥.

ونحن نشير إلى ملائمة المصطلح النقدي الجديد العابر للثقافات الذي ظهر في السنوات الأخيرة والخطاب التي تكون منه ذلك النقد"[٢٦] وهنا يشير إلى النقد الأدبي والدراسات الثقافية حيث تبحث عن ذلك العامل المشترك بين شعوب العالم الثالث ذات القوميات المختلفة التي عملت كلها لمواجهة الإستعمار الأوروبي وبين العامل المشترك في تلك المجتمعات من فنون وأدب.

ويسعى الخطاب ما بعد الكولونيالي إلى تفكيك تلك الحدود والبنيات التي تكرس الهيمنة والسيطرة والإضطهاد من ترسيخ قوى غير متكافئة وهذا من خلال تلك التقابلات الثنائية مثل "أنا /الأخر"و"نحن وهم" والعالم الأول والعالم الثالث والأبيض والأسود[٢٧]، وبهذا يكون قد فضح الخطاب الإستعماري وذلك بتفكيك مقولاته المركزية التي كانت دائما تعبر عن الهيمنة والتميز العرقي والطبقي، فقد كان دائما لا يعترف بتلك الشراكة الإنسانية كي يبقى على التبعية وتملك الأخر، " فالدراسات ما بعد الكولونيالية إنما اتصلت وعبرت عن وعي وطموح حركات الجماعات المقهورة والمنبوذة والمهمشة التي وقعت أسيرة منطق إستئصال عنصري ولأنها أمنت بإيديولوجيا التحرر راحت تنهل من مرجعيات ثقافية عديدة فلم تكن مجرد نصوص تناظرية فقط، بل عملت في كثير من الأحيان على إنتاج خطاب تحريضي لا يكتف بمجرد الرمزية الإيحائية فحسب"[٢٨] أي أنها كانت تعبر عن صوت الشعوب المضطهدة التي تعرضت لشتى أنواع العنصرية والتهميش ولم تكتفي بإصال صوت الشعوب بل إنها أيضا كانت تدعو إلى إعادة النظر في تاريخ آداب المستعمرات التي وقفت في وجه الإستعمار وإعادة كتابة التاريخ.

وإذا كانت الدراسات ما بعد الكولونيالية ولا تزال تعمل على تفكيك الخطاب الإستعماري بإعتبارها مؤسسة فاعلة، إنها تدعو إلى إعادة النظر في تاريخ آداب الإمبريالية السابقة التي

بيل أشكروفت و أخرون ،الإمبراطورية ترد بالكتابة ،ص ١٢.

[٢٧] ينظر ،نبيل راغب موسوعة النظريات الأدبية ،الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ،ط١، ٢٠٠٣ ،ص ٥٥٠.

[٢٨] أمال علا وشيش ،مابعد الكولونيالية ،ص ٥٠.

كانت عبارة عن تلك الشعوب التي واجهت الإستعمار الأوروبي [٢٩] وأيضا الكشف عن الآثار والإرث الأدبي أثناء الفترة الكولونيالية.

وبإعتبار مابعد الكولونيالية نظرية نشأت من أجل تفكيك وحلحلة البنى الفكرية الثقافية وإعادة بنائها وصياغتها من جديد، وذلك من أجل إعادة وضعية التمركز وبناء الثقافات في ظل وجود إختلالات قائمة بين الشرق والغرب، وبحسب منظور هذه النظرية فإن هذه الإعادة تستوجب ملئ وتعبئة ثقافية وإستطانية إن صح القول، وإتباع إستراتيجيات كان أحد المحاور الكبرى في الدراسات ما بعد الكولونيالية وذلك نحو التقليل من شأن السكان الأصليين ونفي إقصاء مقوماتهم الحضارية والإنسانية، والتمييز العنصري والعرقي وغيرها.

٣- تعريف رواية مريم بين النخيل:

لقد قدم الكاتب والروائي الكبير محمد ولد شيخ سنة ١٩٣٦ روايته الشهيرة مريم بين النخيل في مدينة وهران، والتي تعتبر من أشهر وأهم أعماله.

تتحدث هذه الرواية عن صعوبة الإندماج والاختلاف في الديانات وتروي قصة الأم خديجة الجزائرية المسلمة والمتزوجة من النقيب الفرنسي ليون ديبوسي وأب ابنتها مريم وإبنها جون (حفيظ) والتي ظلت تقاوم زوجها على نمط تربية أبنائها، فقد أرادت أن تربيهم تربية إسلامية عربية إلا أن هذا الأخير رفض رفضا قاطعا فترضخ الأم في النهاية ليتلقيا تربية أوروبية منحلة في طفولتهم وفي أحد الأيام يلقى النقيب الفرنسي ليون ديبوسي حتفه لتعاود الأم في محاولاتها لإسترجاع هوية أبنائها وتقودهما إلى طريق الدين الإسلامي وبعد عدة مغامرات تنتهي الرواية بزواج مريم من أحمد المسلم وزواج أخوها جون حفيظ من زهرة المسلمة لتستكمل خديجة مهمتها في إصلاح أبنائها.[٣٠]

---

[٢٩] ينظر، طارق ثابت، هوية الأدب بين الحضور والغياب في الخطاب النقدي العربي ما بعد الكولونيالية، ص ١٠٥.

[٣٠] ينظر، محمد ولد الشيخ أغا، رواية مريم بين النخيل، ترجمة الدكتور معراج أغا، فواصل للنشر والإعلام، غرداية، الجزائر، ٢٠٢٠.

الـفصــل الأول:

أبعـــاد المقـاومــة في روايــة "مريـــم بين النخيل"

١- ارتبـــــاط المـــــقاومة بالهـــــــوية :

أ- مفهوم الهوية **identité** :

يقول، جوزيف جون " joseph johin إن هويتك بكل بساطة هي ماهيتك وإذا سألك شخص ما من أنت ؟ سينتظر منك أن تذكر إسمك ردا على سؤاله "[٣١] فالأسم هوية وحقيقة وجود الفرد، وقد جاءت عدة تعريفات للهوية مابين ما يربطها بالصفات النفسية وهنالك ما يربطها بالصفات الجسمية، إلا أن هناك تعريفات تجمع ما بين كل هذه الصفات وكل ما يدور بالفرد يستطيع أن يقدم من خلاله هويته مجموعة المميزات الجسمية والنفسية والمعنوية والفضائية التي يستطيع الفرد من خلالها أن يعرف نفسه وأن يقدم نفسه ويتعرف الناس عليه، التي يستطيع من خلالها يشعر الفرد بأنه موجود كإنسان له جملة من الأدوار والوظائف التي من خلالها يشعر بأنه مقبول كما هو، وفي التراث العربي نجد عده تعريفات لمصطلح الهوية، حيث تعتبر من المصطلحات التراثية القديمة، جاء في كتاب التعريفات للجرجاني" الهوية المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة الشجرة في الغيب المطلق "[٣٢]فهي لب الشيء وجوهره "إن لهوية الشيء ثوابته التي لا تجدد ولا تتغير ولا تتجلى وتفصح عن ذاتها دون التخلي عن مكانتها لنقيضها طالما بقيت الذات على قيد الحياة، فهي البصمة بالنسبة للإنسان يتميز بها عن غيرها وتجدد فاعليتها ويتجلى وجهها كلما من فوقها طوارئ الطمس، والحجب دون أن تجلي مكانتها لغيرها من البصمات "[٣٣].

من خلالها يعرف الفرد عن نفسه ويتعرف علي الآخرين، فهي" منظومة متكاملة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية، تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفي، تتميز بوحدتها التي تجسد الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس

---

[٣١] جون جوزيف، اللغة والهوية، تر: عبد النور خرافي، عالم المعرفة، المجلس الوطني لثقافة والفنون والأداب، الكويت، فيفري ١٩٧٨، ص ٣٤٢.

[٣٢] الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، تر: دار الفكر للنشر والتوزيع ط ١، ١٩٩٨، ص ١٧٣.

[٣٣] محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، فيفري ١٩٩٩، ص٦.

بالهوية والشعور بها، فالهوية هي وحدة المشاعر الداخلية التي تتمثل في وحدة العناصر المادية والتمايز والديمومة والجهد المركزي، وهذا يعني أن الهوية هي وحدة العناصر المادية والنفسية المتكاملة التي تجعل الشخص يتميز عما سواه ويشعر بوحدته الذاتية "[٣٤]

فالهوية نتاج لجملة العوامل الداخلية والخارجية ينصهر فيها الفرد وينسجم مع ذاته ويشعر بوجودها ،فهو يكون مطابقا لذاته ومتميزا عن غيره ومعترف به، فجل سلوكات الإنسان تنطلق بالضرورة من سياق إجتماعي تأخذ بذلك الهوية دلالة ومعنى، تمنح فاعلها مكانا إجتماعيا بفضل التجربة المعاشة ضمن وسط إجتماعي يحدد هوية إجتماعية لها دورا محددا.

١- الهوية الاجتماعية: identité social

بطبعه الإنسان كائن إجتماعي منذ ولادته، فالحياة تمنحه ذلك التفاعل مع الأخر، وهذا ما يولد علاقة جدلية مع الأخرين بفعل الإحتكاك والإنفتاح أيضا " للهوية علاقة جدلية بين الأنا والأخر مع تزايد الإحتكاكات الثقافية بين الشعوب والأفراد "[٣٥]، فالهوية متواجدة في كل الأفراد وبطبيعة الحال هؤلاء الأفراد يشكلون جماعة تنتمي بدورها إلى مجموعات تشكل هوية إجتماعية " ومن هنا تأتي ضرورة تشجيع بروز هوية تجمع كل الإنتماءات في داخلها إلى الجماعة الإنسانية، وهو الإنتماء الرئيسي لكل البشر لكن دون أن يؤدي إلى إقصاء الإنتماءات المتعددة خاصة بكل شعب وفرد "[٣٦] إن إختلاف الجماعات والشرائح في المجتمع يعزز ويطور العلاقات في المجتمعات حيث تمثل كل واحد منها نظاما إجتماعيا وثقافيا مختلفا يشكل هوية إجتماعية و" إذا كان لكل فرد هوية خاصة به فإن تلك الهويات تكتسب طابعها عبر الإنتماءات إلى جماعة إجتماعية، إن العناصر الفردية للهوية تؤكد

---

[٣٤] أليكس ميشكللي، الهوية، تر:علي وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، ط١، ١٩٩٣، ص١٢٩

[٣٥] محمد سعدي، الهوية من الوحدة إلى التعدد، آفاق المستقبل، ع٧، سبتمبر /أكتوبر، ٢٠١٠، ص٨٣

[٣٦] المرجع نفسه، ص٨٣.

على الإختلافات بينما عناصر الجمعية تركز على التشابهات مع الإثنين يرتبطان باحكام"[٣٧] فالهوية الإجتماعية تظهر من خلال العلاقة مع الجماعة والتفاعل مع الجماعات الاخرى وشعور الافراد بعضويتهم فيها، إدراك أوجه الإختلاف والتشابه في ما بينهم "الهوية المشتركة هي بالدرجة الأولى صيغة المشاركة إنفعالية في إطار كل جماعة وهي الدعامة الدائمة لأشكال الهوية وصياغها المختلفة ،فهي تتشكل من منطق الشعور بالهوية وخاصة مشاعر الإنتماء بالقيمة والثقة"[٣٨]، إذا فالذات مرتبطة دائما بالهوية الإجتماعية مهما إختلفت وتقيم وتقدر بحسب الفئات الإجتماعية.

٢- الهوية الثقافية: identité culturelle

بما أن الهوية الثقافية هي ما يتميز به الفرد مقومات يثبت من خلالها وجوده الأجتماعي والثقافي فإن هذه الأخيرة تعكس بدورها بصمة الفرد في مجتمعه " ثمه علاقة وثيقة بين الهوية والثقافة بحيث إذن أن ما من هوية إلا وتختزل ثقافة، فلا هوية بدون منظور ثقافي لا تستند إلى خلفية ثقافية، والثقافة وجوهرها بالذات."[٣٩]

فهي توحد أفراد المجتمع الواحد بغض النظر عن إختلاف أعراقهم وطبقاتهم وإتجاهاتهم وحتى مذاهبهم الدينية، والسياسية، فالثقافة القومية تجعلهم كيانا واحدا وبهذا "إن الثقافة القومية تسعى لتوحيدهم في هوية ثقافية واحدة وتمثلهم جميعا ينتمون إلى العائلة القومية العظيمة نفسها "[٤٠] فكل أمة خصائصها الثقافية التي تتفرد بها، فالهوية الثقافية كما يراها جلال أمين هي " التفرد الثقافي لكل ما تتضمنه الثقافة من عادات وتقاليد وأنماط وميل وقيم ونظرة إلى الكون والحياة "[٤١] فكل ثقافة تحمل ذاكرة جماعية التي تميزها.

---

[٣٧] هرلمبس وهولورن، سوسيولوجيا الثقافة والهوية، تر: حاتم حميد حسن، دار كيوات لطباعة والنشر، دمشق سوريا، ط١، ٢٠١٠، ص١٠٥.

[٣٨] أليكس ميكشيللي، الهوية، مرجع سابق، ص١٠١.

[٣٩] عبد العزيز عثمان التويجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٤، ص٥٧

[٤٠] ستيوارت هول، حول الهوية الثقافية، تر: بول طبر، مجلة إضافات، ع٢ ،٢٠٠٨،ص١٥٣

[٤١] جلال أمين، العولمة، دار الشروق، القاهرة ،مصر، ط١ ،٢٠٠٩ ، ص٥٠

إن الهوية الثقافية بالنسبة للشعوب والأفراد وإن كانت تتمثل في الغالب ثلاثة عناصر متمثلة في عنصر العقيدة واللغة والتراث الثقافي "[٤٢] فالدين هو أساس حياة الأفراد والمجتمعات واللغة هي اللسان الناطق للثقافات والهوية تثبت وجودها من خلال ممارسة تلك الثقافات.

إن الموروث الثقافي ما هو إلا جملة تلك العادات والممارسات المختلفة والتي تشكل صميم الهوية الثقافية.

ب- الصراع بين الأنا والآخر dialectique du moiet Lautre:

تتمحور جل الدراسات ما بعد الكولونيالية على جدلية العلاقة بين الأنا والأخر وذلك لفهم هذه العلاقة بينهما، إيجابية قائمة على التعاون والتعايش السلمي أو عدائية تقوم على الصراع والإقصاء والتهميش.

إن مجمل العلاقات الإنسانية قائمة على التفاعل بين تلك الأفراد أو الشعوب ولكن يتغير هذا التفاعل بحسب نظرة الفرد إلى الأخر، فمنها من ينحرف عن مسارها الطبيعي فتصبح خاضعة للمصالح غير أخلاقية تؤدي إلى إلغاء الفرد الأخر ووجود الأخر ضروري وحتمي لقيام إي علاقة بين طرفين سواء كانت عدائية أو متسامحة " فالأنا لا يتحدد إلا عبر الأخر سواء تعلق الأمر بالفرد أو الجماعة فإن أي مشروع للمستقبل يبنيه الإنسان لنفسه لابد أن يأخذ بعين الإعتبار بصورة واعية ولا واعية ، فعل الأخر أو رد فعله "[٤٣]، فهناك علاقة وطيدة بين أبدية الأنا والأخر، فلا وجود لكيان دون غيره ونستدل على وجوده " جدلية الذات والأخر تعني في الحالات كلها ،أنه يستحيل وجود الواحد منهما دون الأخر أو معرفة الواحد منهما دون معرفه الأخر، حتى أصبح كل من هذه الثنائية عاملا لمعرفة الأخر. فهما ذاتان منفصلتان

---

[٤٢] محمد زغو، أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب، الأكاديمية للدراسات الإجماعية والإنسانية، ع٤ ،٢٠١٠، ،٢٠١٠، ص٩٥.

[٤٣] محمد عابد الجابري، مسألة الهوية والعروبة والإسلام والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة الثقافة القومية ٢٧ قضايا العربي ٣، بيروت، لبنان، ٢٠١٢، ص١١.

في الوقت نفسه مفترقان ومتحدان وغدت العلاقة الجدلية بينهما جزءا من كل وشرطا لوجوده وإستمراره "[٤٤] فلا وجود للذات إلا بوجود الأخر المنفصل عنها.

١- مفهوم (الأنا ، الذات) :

بحسب المعاجم المعاصرة فهي تدل على الوجود والكينونة يقول أحمد مختار" بأن الذات إسم يدل على ما هو محسوس مثل الحجر والباب والبحر مقابل إسم المعنى مثل علم وشجاعة" [٤٥]فالأنا أو الذات كما يقول رونيه ديكارت إحساس الفرد بوجودك وهي بهذا مرادفة للهوية وتعتبر من المفاهيم الفلسفية عنده أو ما يعرف بالكوجيتو الديكارتي" أنا أفكر إذن أنا موجود " فلا يدرك العالم الخارجي إلا بالفكر وعمليته الذهنية.

لالاند أندري يقول إنها وعي الفرد التجريبي إن أناه (أنا التمثال) هو في أن وعي ما هو وعليه وذكرى ما كان عليه" ،،،" فليس أناه سوى مجموعة أحاسيسه التى يشعر بها وتلك التى تذكره بها الذاكرة"[٤٦] فالذات إذا عنده هي الذكريات التي يعيشها الإنسان في حياته ويستعيدها ويضيف " للأنا صفتان فهو ظالم بذاته، من حيث أنه يضع ذاته ضد الكل، وهو متنافر مع الأخرين من حيث إنه يرغب في استبعادهم لأن كل (أنا) هو العدو يريد أن يكون المستبد بكل الآخرين "[٤٧] فهو عدائية برئيه تريد أن تسيطر على الكل أن يتأسس على السيطرة، سيطرة ذات على ما تتخده موضوعا لها.

---

[٤٤] وليد خالد أحمد، الأخر في الثقافة العربية من القرن السادس عشر حتى القرن العشرين، كتابات الخميس ٤ آذار ٢٠١٣، ص٢.

[٤٥] ينظر، أحمد عمر مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ص ٨٠١.

[٤٦] أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت لبنان، ط٢ ،٢٠٠١، ص ٨٢٤

[٤٧]محمد ولد الشيخ أغا، رواية مريم بين النخيل، ترجمة د.معراج أغا، فواصل للنشر والإعلام، غرداية، الجزائر، ص ٨٢٤.

٢- مفهوم الآخر:

وهو كل ما كان خارج الذات وغريب عنها ويكون نقيض لها" الأخر في أبسط صوره مثيل أو نقيض الذات أو الأنا. فكل ما لا يشير إلى الذات هو الآخر المختلف في الجنس أو الإنتماء أو الدين أو العرق "[٤٨] وهذا يعني أن الآخر تتشكل هويته حسب طبيعته الجنسية وإنتمائه الجغرافي والقومي أو العقائدي، إذ لا وجود له دون توافر شروط الاختلاف والتمايز للتفريق بين الأنا والآخر.

٢- مناهضة الكولونيالية في الرواية /الصراع بين الأنا والآخر :

قد قدم لنا (ولد الشيخ آغا) في هذه الرواية إلتفاتة مميزة، ألا وهي أنه قد سلط الضوء على منطقة ظلت مهمشة ومنسية في الطرح الروائي عموما وتاريخ الاستعمار الجزائر في المنطقة الصحراوية، وتحديدا منطقة بشار حيث تجري أحداث هذه الرواية، كما أن هذه الرواية تحمل البعد المقاوم والصوت المناهض الذي يحاول أن يقف في وجه صوت الكولونيالية وصوت السلطة، ويتجسد الصوت الكولونيالي وصوت السلطة في "الكلام الآمر" بتعبير ميخائيل باختين إن ذلك النمط من الكلام الذي يقتضي" أن نعترف به وأن نتمثله وهو يفرض نفسه علينا بغض النظر عن درجة إقناعه الداخلي"[٤٩]، ومن خلال الرواية نلحظ عدة مشاهد عن هذا الصوت.

صوت ديبوسي وهو ضابط فرنسي زوج خديجة ووالد مريم ديبوسي الذي يقوم بممارسة دور السلطة على زوجته خديجه والتي تعد هذا الزواج خطأ، " التقت خديجة مع الضابط ديبوسي في فترة جنون الشباب دون تفكير في عواقب الزواج المختلط، والمشاكل المترتبة عنه من اختلاف في الأذواق والإحساس والمعتقدات "[٥٠]، هذه الأم التي كانت تعاني من التجبر

---

[٤٨] ميجان الرويلي وسعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، مرجع سابق، ص ٢١.

[٤٩] ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ترجمة وتقديم محمد براءة الرباط: دار الأمان للنشر والتوزيع.١٩٨٧، ص ٩٧.

[٥٠] محمد ولد الشيخ أغا، مريم بين النخيل، ص ٢٠,٢١.

والتسلط من قبل زوجها وسلطته التعسفية حيث أنها " تعرضت لمشاكل عديدة من طرف زوجها بحيث أن كل منهما كان يتمنى تحويل الآخر الى عقيدته "[٥١] من هنا كانت رحلة الأم خديجة في إثبات الذات والهوية رحلة مقاومة الزوج ديبوسي الذي" كان يكره أن يرى زوجته تكثر الكلام بالعربية مع ولديه أو أن تعدهما إلى إعداد أسلافها. كما أنه لم يتقبل مرافقتهما إلى ضريح الولي الصالح "[٥٢] هنا يظهر بوضوح " نهج الاستعمار سياسة لغوية قائمة على أساس القضاء على اللغة العربية ومحاربتها بكل وسائل التهميش والتحقير والمقابل عمل على ترسيم الفرنسية وتشجيع تعليمها في أوساط الجزائريين خاصة في المدن الكبرى(...) إن الفرنسيون تيقنوا أن اللغة العربية الوحيدة التي تملك الوجود الحضاري القوي(...) وبذلك تعمد الى اقصاء اللغة العربية عامة، والفصحة بصفة خاصة من كل المجالات الحيوية كالأدارة والتعليم والأعلام والاقتصاد "[٥٣] خديجة التي تحاول بشتى الطرق إثبات هويتها وذاتها الذي يسعى زوجها إلى طمسها والتخلص منها وفرض سلطته دون ما قيد وهذا يبرز لنا ما يتسم به الخطاب الكولونيالي، فالحياة التي قدمها لنا ولد الشيخ عن علاقة خديجة الجزائرية بالضابط الفرنسي ما هي إلا نموذج مصغر عن الرؤية الإجمالية الإستشراقية المبنية على ثنائيات (الذات–الآخر)(السيد–العبد)(المركز–الهامش)، العنصرية، هذه هي كانت مجمل العلاقة بين الجزائر وفرنسا والتي تحددها السلطة العليا التي تقرر ما يجب أن يكون وما يترتب على الأخر سوى الخضوع وجوبا.

هذه الترتيبة التي تجسدها علاقة خديجة مع زوجها الضابط يقول ديبوسي " لا يمكن أن ألقي بولدي في تعصب ديني، قلتها لك كم من مرة، أريد أن أربيهما كما يحلو لي، لكن لن أعلمهما لا الكتاب المقدس ولا القران .... أنا مفكر حر"[٥٤]

---

[٥١] محمد ولد الشيخ أغا، مريم بين النخيل، ص٢١.

[٥٢] المصدر نفسه، ص ٢١.

[٥٣] ألياس بلكاوي ومحمد محرز، إشكالية الهوية والتعدد اللغوي في المغرب العربي، مركز الإمارات لدراسات والبحوث الإستراتيجية ، أبو ضبي، ط١، ٢٠١٤، ص ٤٩.

[٥٤] محمد ولد الشيخ أغا، مريم بين النخيل، ص ٢٣.

إلا أن خديجة أبدا لم ترضخ لهذا التسلط تحاول جاهدة مناهضة هذا التعسف تقول صارخة" إنك تعاملني كالرقيقة ... موقفك واضح ... أنا عندك مجرد تمضية وقت، قلتها لي مرات عديدة "[٥٥]... وهذا كان رفضا صريحا للرؤية الثابتة للفرد الجزائري بصفة عامة قائمة على نمطية يبقي من خلالها الأخر خاضعا، خديجة بهذا الرد تقوم بمحاولة لكسر تلك الصورة الإختزالية والمشوهة، هذه الأم تقوم بعمل يعتبر مناهضة ومقاومة لسلطة زوجها " أثناء غياب النقيب في مهمته إلى الجنوب دامت شهرا، قامت خديجة بتختين ولدها وأعطته إسم حفيظ "[٥٦] في محاولة منها للملمت ما تبقى من هذه الأسرة، هذه الأم التي تعي صعوبة المهمة التي على عاتقها، مهمة خطئها الذي ارتكبته بإرتكبها لهذا الزواج، حيث كان الزوج يسهر على بث في ولديها أفكار وإحاءات تقلق الأم، التي تحاول بعد وفاة الزوج إنقاذ الولدين من الذي كما تسميه" نادرا ما ينجو منه أطفال الزواج المختلط "[٥٧] حيث أنها أصبحت تتمتع بالحرية في إتخاذ قراراتها في ما يخص أبناءها، ولم يعد هنالك سلطة حاكمة فوق راسها غير العوائق التي ستواجهها مستقبلا " لا ترى نجات ولديها إلا في الدين"[٥٨] تتوجه خديجة إلى شيخ تستشيره في أمرها فيقول" حفظي كلمة الله لولديك "[٥٩] تتمكن الأم بعد عدة محاولات من تعليم أبنائها العربية "جون ومريم وتحت إلحاح وضغط أمهما قبلا تعلم اللغة العربية وأصبح يحسنانها محادثة وكتابة "[٦٠] ولا تزال الأم تسعى إلى تزويج إبنيها من مسلمين.

من جهة أخرى نشهد صراعا من نوع مختلف صراع الابنة مريم ابنة خديجة مع بلقاسم، سلطان تافيلالت والذي قام بسجنها بعد سقوط طائرتها في واحة تافيلالت غرب المغرب، بلقاسم الذي يقوم بممارسة هيمنته على سكان تافيلالت، الذين لا يستطيعون لا المقاومة ولا حتى

---

[٥٥] محمد ولد الشيخ أغا، مريم بين النخيل، ص ٢٣.

[٥٦] المصدر نفسه، ص ٢٤.

[٥٧] المصدر نفسه، ص ٢٥.

[٥٨] المصدر نفسه، ص ٢٥.

[٥٩] المصدر نفسه، ص٢٥.

[٦٠] المصدر نفسه، ص ٢٥.

الرفض خوفا من هذا النوع من الهيمنة كما عرفها غرامشي فيما "هو شائع في الخطاب السياسي والثقافي المتداول تشير إلى التسلط أو الرقابة الصارمة التي يرفضها فرد أو شعب أو مؤسسة أو غير ذلك على ما عاداه لتحقيق مصلحة للتسلط أو الترقيب"[٦١]

السلطة التي فرضها بلقاسم على مريم كانت ترهيبية وهذا يظهره صوت الراوي بشدة " عند رؤية بلقاسم أصبحت مريم شاحبة "[٦٢]

بلقاسم الذي حاول جاهدا الزواج من مريم قصرا أو حتى بسبل الإغراء وهذا يتجلى في عدة مقاطع من الحوار حين يقول: "سيكون لك رقيق وخدم... وبساتين ومجوهرات وكل الأشياء الجميلة التي تحبين... كل هذا يعتمد على كلمة منك ..

– أنت حرة لست سجينة ... هنا أنت في بيتك"[٦٣]..

هذا الأسلوب الذي نبذته مريم ورفضته بشده لم يدم طويلا هذا الأسلوب الغير مباشر والغير الصريح تقول مريم "كل العروض لا يمكن أن تعجبني مادمت محجوزة رغم إرادتي...

– لا تصر، لن أكون زوجتك "[٦٤]

يمكن القول أنه من خلال سلطة بلقاسم على مريم وعلى تافيلالت وسكانها بصفة عامة أن نختزل تجبره في قول مصطفى الأشرف في كتابه الجزائر الأمة والمجتمع لم يكن سوى وجه آخر من وجوه الإستعمار المتعددة في تلك الفترة وأن جل الصفات التي كان أساسها الواقع الإستعماري وأدى لظهورها فهي وليدة ظروف تلك الفترة، هذه " الظروف ناشئة عن الشعور بالسيطرة وإطلاق العنان بدون حسيب ولا رقيب للعنصرية وإرتكاب الجرائم المنافية لكرامة الإنسان والحقوق والمنطق، كما لو أن هذا الصنيع عمل وطني يستحق التقدير، إن وصفة

---

[٦١] ميجان الرويلي وسعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، مرجع سابق، ص٣٥٤.

[٦٢] محمد ولد الشيخ أغا، رواية مريم بين النخيل، ص ١٨٤.

[٦٣] المصدر نفسه، ص ١٨٥,١٨٤.

[٦٤] المصدر نفسه، ص ١٨٥.

العار اللاصقة بالمستعمرين على سلوكهم اللأخلاقي وصمة عار قديمة[...] في ذلك الإطار المتميز بالسيطرة و الإستعلاء"[٦٥]

بلقاسم الذي أراد أن يقدم مريم كهدية للفائز بالحفل السنوي "السقال" وهو نوع من الدوريات تقام بين المحاربين بالسلاح

"إذا رفضتي سأهديك للفارس الذي يفوز بالسقال في الحفل المقبل للمحاربين"[٦٦] "اسمعوا، أيها الفرسان المغاوير، أن سيدنا مولاي بلقاسم السلطان بدون منازع لتافيلالت سيمنح هدية للفائزين[...] "[٦٧]

ـ سيدنا سيمنح للبطل السجينة. وستصبح ملكا للفائز بالسقال ..."[٦٨]

هذه السلطة التي حاولت مريم رفضها ومناهضتها بثبات، "أمام صعوبة المشهد تبقى مريم هادئة ورزينة، الفتاة الشجاعة مدركة أن كل نوع من أنواع الإحتجاج أو الإنتفاضة لا يجدي نفعا ويؤزم وضعها، وما عليها إلا أن تسلم أمرها للقدر، إنها لا تشعر بأي نفور ولا إزعاج غالبا ما يحس به المقهور مع قاهره، والمدان أمام جلاده، بالعكس إنها تشاهد في هدوء المحاربين وبثبات الروح في وسط الخطر "[٦٩]

مريم كانت متيقنة بأن الله سينجيها وبالفعل رجائها تحصل مريم على حريتها وتستطيع النجاة" إنه منقذ أرسله الله لك "[٧٠] تقول زهرة والتي كان لها الدور الأكبر في نجاتها.

---

[٦٥] زكية عرعار، الخطاب النقدي مابعد الكولونيالي عند مصطفى الأشرف، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث، النقد الأدبي والدراسات الثقافية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ٢٠١٧,٢٠١٨٠، ص ٣١٣,٣١٤.

[٦٦] محمد ولد الشيخ أغا، مريم بين النخيل، ص ١٨٥,١٨٦.

[٦٧] المصدر نفسه، ص ٢٣٢.

[٦٨] المصدر نفسه، ص ٢٣٢.

[٦٩] المصدر نفسه، ص٢٤٢.

[٧٠] المصدر نفسه، ص ٣٠٢,٣٠١.

٣- دلالة العنوان و إرتباطه بالبعد المقاوم:

يعد العنوان مفتاحا من مفاتيح فهم الرواية لما فيه من وظائف شكلية جمالية ودلالية، فهو أول شيء يثير إنتباه القارئ ويفتح شهيته على ولوج عوالم ما تحمله هذه الرواية من تشويق وإثارة ومتعة، فالعنوان حسب رأي الدارسين والنقاد إنما هو " مقطع لغوي من الجملة أو عملا فنيا ويمكن النظر إلى العنوان من زاويتين (أ) في السياق و(ب)خارج السياق "[٧١]،إذا نستطيع القول بأن العنوان ما هو إلا رسالة لغوية تعرف بهوية النص وتحدد لنا مضمونه وتجدب القارئ وتغريه لإستكشاف النص فأول ما يستهدفنا ويستوقفنا في رواية " مريم بين النخيل " هو العنوان الذي إختاره "محمد ولد الشيخ أغا" إذ نجد أن العنوان مركب من إسمين " مريم " وهو الجزء الاول "بين النخيل" وهو الجزء الثاني.

وقد تعود دلالة " مريم" إلى المرأة بصفة عامة أو الوطن أو المدينة بما يحمله هذا الإسم من رمزية، فإسم " مريم ذكر في القرآن في عدة مواضيع كإمراة عذراء وأم والدة المسيح "[٧٢] فهي من كل جوانبها دلالة على الطهارة والعفة، ولم يقتصر هذا الإسم في العربية فقط فهو إسم إغريقي عبري فارسي أيضا ونجد أن له نفس الدلالة في كل لغات العالم وكان العنوان يشمل كل لغات العالم ولا يقتصر على الفرنسية والعربية.

وإذا أتينا للشق الثاني من العنوان "بين النخيل" فهو دلالة على المكان والموقع، فهو ظرف مكان، وإذا أتينا إلى معنى النخلة، "مفرد نخْلة: جنس شجر من فصيلة النخليّات أنواعه عديدة، تعيش جميعها في المناطق الحارّة، ساقُه رفيعة مستقيمة طويلة ذات عُقَد، أوراقه سعفيّة ريشيّة الشّكْل يزرع للزِّينة أو لثماره مستطيلة الشّكْل لذيذة الطعم التي تعدّ من أفضل الثِّمار المغذيّة

---

[٧١] محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الأتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، القاهرة ١٩٩٨ م، ص ٢٠.

[٧٢] ويكيبيديا الموسوعة الحرة، مريم–إسم/https://ar.wikipedia.org/wiki

وهي التمر والبلح "[٧٣] إذا نجد أنها نوع من النباتات التي تتمتع بالقوة وبشدة التحمل مهما كانت الظروف المناخية.

وبقول الروائي "مريم بين النخيل" يحاول أن يفتح ويوسع مجال الرؤية إلى أبعد قدر ممكن ليفتح لنا الصورة بأكملها، صورة الانتماء.

ونلاحظ أن "ولد الشيخ" إعتمد في تركيب العنوان على جملة إسمية، و"الجملة الإسمية تدل على الثبوت إسم يقتضي ثبوت الصفة وحصولها"[٧٤]

تركيبة العنوان التي تحمل عدة أبعاد للمقاومة، فلقد إختار المؤلف إسم "مريم" ولم يختار خديجة لأنها هي حاملة لواء الطريق، طريق المقاومة الذي بدأته والدتها "مريم" كانت ذات شخصية طموحة شجاعة مفعمة بالأمل والحياة، وقد إختار ولد الشيخ "النخلة" عوضا عن الرمال أو الصحراء الذي جرت فيه أحداث هذه الرواية، النخلة أو النخيل بصفة عامة دليل على الحياة والأمل، وبطبعها من النباتات التي تتمتع بالمقاومة وشدة التحمل إذا فالعنوان يلخص لنا ذلك البعد العميق للمقاومة والتي منبعها الأرض متجذرة بعمق جذور هذه النخيل.

إذا نستطيع القول أن "محمد ولد الشيخ اغا" لم يتخذ عنوان روايته بطريقة اعتباطية لأنه سلط الضوء على منطقة الصحراء والمقاومة في الصحراء بين النخيل فهو لم يحدد ولم يخص بذلك أي منطقة صحراوية وإنما وسع الدائرة لتشمل كل الصحراء "ولد الشيخ "والذي يتجلى لنا من خلال هذا العمل أنه يحمل مشاعر قوية تثبت حبه الصادق للواحات بصفة عامة وهذا ما لمسته في عدة مواضيع من هذه الرواية، فهو يشعرك بصدق هذه المشاعر ومدى إفتتانه بها سواء على لسان الراوي أو على لسان بطلتنا مريم "...السماء في كولومب بشار مع الواد والحدائق ذات الزوايا الساحرة وواحة النخيل كثيفة الظل [...] ترجف السياح في فصل الشتاء الأضواء الساحرة للجنوب يجدون متسعا من الهدوء اللطيف.."[٧٥]

---

[٧٣] معجم المعاني الجامع، النخيل / https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar

[٧٤] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد محمود شاكر، دار المدني، السعودية، ط ١ ،١٩٩١، ص ١٧.

[٧٥] محمد ولد الشيخ آغا، مريم بين النخيل، مرجع سابق، ص٥٣.

"...أشجار النخيل الأنيقة الوارفة تتقاطع ظلالها باتجاه السماء الزرقاء [...] وعلى ضفاف أحواض الماء تعكس النخيل و السماء.."[٧٦].

وغيرها من المقاطع التي تدل على افتتانه منذ بداية الرواية إلى نهايتها.

- العناوين الفرعية:

تنقسم الرواية إلى ثلاثة أجزاء وفي كل جزء عدة عناوين فرعية تحمل عدة دلالات وأبعاد

الجزء الأول وقد عنونه بـ " الرحلة من وهران إلى تافيلالت"

لقد حمل هذا الجزء عناوين فرعية منها (القطيعة، صديق الرباط، الغارة، كولومب بشار، عاصمة الجنوب، تذكرة فوق الرمال ...وغيرها

الجزء الثاني وقد عنون بـ " في بلاد سجلماسة"

وقد حمل هذا الجزء أيضا عدة عناوين فرعية نذكر منها "لمقابلة الخليفة، زوجة بلقاسم، تحت جدران رساني، إنتقام القاضي، غضب بلقاسم، تافيلالت تبكي.... وغيرها"

الجزء الثالث وعنون ب " الطريق الى السعادة"

ويحمل هذا الجزء عناوين فرعية أيضا" حفله المحاربين، البطل المجهول، أحرار ،فرحتك هي فرحتي ، خلاص تافيلالت... وغيرها"

وقد أتبعه بخاتمة تلخص لنا السعيدة أبطال هذه الرواية

من خلال هذه الأجزاء الثلاثة وما تحملة من عناوين فرعية داخلها فإنها تلخص لنا الرؤية كاملة، فنلاحظ أن الجزء الأول يعتبر كتمهيد لأحداث هذه القصة والرواية عمومة، يتبعه الجزء الثاني الذي نلاحظ أنه يتدرج تصاعديا مع تأزم الاحداث والعقدة، ويليه الجزء الثالث والأخير الذي نلحظ من خلاله بداية تفكك تدريجيا وصولا للعقدة الرئيسية ،تليها خاتمة تلخص النهاية المرجوة تحقيقها بنهاية سعيدة.

وبهذا تكون العناوين الفرعية قد لخصت لنا أحداث الرواية بوضوح.

---

[٧٦] محمد ولد الشيخ آغا، مريم بين النخيل، مرجع سابق، ص ٥٥.

٤- أبعاد الشخصيات المقاومة:

تعد الشخصية المحرك الأساسية لأحداث الرواية فهي تمنح الرواية الحركية و تبث فيها الحياة "فالشخصية الروائية سواء كانت إيجابية أم سلبية هي التي تقوم بتحريك وتطوير أحداث الرواية ،وهي أحد الأفراد الخياليين أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة أو المسرحية "[٧٧]رواية مريم بين النخيل لمحمد ولد الشيخ نجد أنها تحمل العديد من الشخصيات المتنوعة والتي ترمز إلى المقاومة والمناهضة والتي تتمتع بالتشويق.

أ- الشخصيات الرئيسية:

ما هي الشخصيات التي تتواجد في المتن والتي تمثل المحور الرئيسي الذي تدور حوله أحداث هذه الرواية بكونها محل إهتمام السارد حيث يوجد في كل عمل روائي شخصيات تقوم بعمل رئيسي إلى جانب شخصيات تقوم بأدوار ثانوية، فالشخصية هي التي تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام وليس من الضروري أن تكون الشخصية محورية وقد يكون هناك منافس أو خصم لهذه الشخصية "[٧٨].

و" يقصد بالشخصية المحورية تلك الشخصية التي يتحرك بها الكاتب ليبرز غايته من العمل الأدبي روائيا كان أو حواريا "[٧٩]وبما أن هذه الشخصية قد حضت بإهتمام الروائي فهي قد نالت قدرا من العناية جعلتها تتصدر قائمه الشخصيات الموجودة في عمله.

- **مريم:**

وهي الشخصية الأبرز في هذه الرواية، وهي شخصية محورية وتعد بطلة الرواية الأولى وهي شابة ولدت نتاج أم جزائرية مسلمة وأب فرنسي مسيحي، هي شابة لم تحظى بأسرة

---

[٧٧] مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط٢ ،١٩٨٤ ، ص ٢٠٨.

[٧٨] صبيحة عودة زعرب، جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلان نعمان، ط١ ،٢٠٠٦، ص ١٣١,١٣٢.

[٧٩] نادر أحمد عبد الخالق، الشخصية الروائية بين باكثير ونجيب الكيلاني دراسة موضوعية وفنية، دار العلوم والإيمان، كفر الشيخ، ط١ ،٢٠١٠، ص ١٠٧.

عادية، فقد شهدت تلك الصراعات الأسرية بين والديها كما شهدت وفاه والدها بعد فترة بسيطة من الإستقرار، وهي شابة طموحة والتي قوية العلاقة بينها وبين والدتها بعد وفاة والدها، فتاة متمردة رغم كل الظروف.

- البعد الاجتماعي :

وهي الحالة التي يتصورها الروائي لشخصية من خلال وضعها الاجتماعي" حيث يتعلق بمعلومات حول وضع الشخصية الإجتماعي، وإيديولوجيتها وعلاقتها الإجتماعية المهنية، طبقتها الإجتماعية عامل، الطبقة المتوسطة، برجوازية، إقطاعي، وضعها الإجتماعي فقير، غني، إيديولوجيتها رأسمالي..."[٨٠]

"مريم ديبوسي بنت النقيب الفرنسي ليون ديبوسي والأم المسلمة تعتبر من أثرياء وهران، لها ممتلكات قيمة بضواحي مدينة مسرغين. بيد أنها مولعة برياضة الطيران والسباحة والسفر الذي تمارسه رفقة صديقها الميكانيكي دالبري مريم راقيه بحي قنبيطا تسمى فيلا البستان "[٨١] نجد أن للبطلة ذكريات تسترجعها مع والدها الذي قتل في أحد المعارك " تواجه مريم نظرها نحو صورة والدها ليون ديبوسي الذي قتل في معركة بريف المغرب والمعلقة بحائط البيت:

ـ والدي هل على حق ؟ لصورة والدها التي تظل مبتسمة داخل إطارها فيتهلل وجه مريم التي لم تشعر بالوحدة طالما والدها بصمته يؤيدها "[٨٢] في محاولة منها لإستشارة والدها الذي لم يعد موجودا معهم فقط صورة معلقة ، مريم التي لا تملك في هذه الحياة غير والدتها وشقيقها جون حفيظ الذي إختار أن يكون مثل والده تقول مريم "آه يا أمي، لقد قلد جون بوسام فارس فيلق الشرف وغادر كولومب بشار بإتجاه مدينة أرفود ثم تضيف بصوت خافت وقلق بمهمة في منطقة الشلوح "[٨٣].

---

[٨٠] محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات، مفاهيم، ص ٤٠.

[٨١] محمد ولد الشيخ أغا، مريم بين النخيل، ص ١٩.

[٨٢] المصدر نفسه، ص ٢٠.

[٨٣] المصدر نفسه، ص ١٩.

"لم أفكر يوما دون أن أرتعش للمخاطر التي تعترض أخي"[٨٤] مريم التي دائمة القلق على أخيها خوفها من فقدان، وهذا يظهر أيضا عند تعرضها للسجن من قبل بلقاسم حين كان يحاول إنقاذها " آه يا رباه، قالت في هدوء، جون موجود هنا يا رب إحميه"[٨٥].

كما أنها تجمعها علاقة طيبة مع صديقها أحمد مسعودي والذي يشاركها ميولها ويشعرها باهتمامه، "ما أخبار طائرتك الجديدة يا أنسه ؟".

ـ إستلمتها هذا الأسبوع إنها من نوع كودرون فالين وقريبا سأحلق إن شاء الله فوق الأطلس ... في مسابقة الرالي المقبلة بين الجزائر والمغرب.

ـ إن شاء الله يرد احمد " [٨٦] هذه العلاقة التي تتطور لمودة بين الطرفين.

ـ البعد الجسمي أو الفيزيولوجي:

الوصف الخارجية الذي تتميز به كل شخصية من خلال مظهرها وشكلها الخارجي "وهو كيان المادي لتشكل الشخصية حيث تحدد فيه الملامح والصفات الخارجية للشخصية، حيث الجنس بنوعين : الذكر، والأنثى، شكل الإنسان من طوله أو قصره وحسنه ووسامته وذمامته ..."[٨٧]

"تمرر منشفتها على وجهها فمها المبتسم أظهر أسنانها اللامعة، جمالها أشع إنها تبلغ العشرين من العمر.. صوتها، بسمتها وحركاتها تحمل بصمة الجمال الساحر... تبعث صورة ساحرة ومؤثرة "[٨٨]

---

[٨٤] محمد ولد الشيخ أغا، مريم بين النخيل، ص ٢٠.

[٨٥] المصدر نفسه، ص١٦٧.

[٨٦] المصدر نفسه، ص ٣٢,٣٣.

[٨٧] ينظر، ليندا بن عباس، الشخصية في الرواية لإبراهيم الكوني، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، إشراف : د.عبد المالك ضيف، تخصص أدب عربي حديث، جامعة محمد بوضياف الجزائر، ٢٠١٥، ص ١٤.

[٨٨] محمد ولد الشيخ أغا، مريم بين النخيل، ص ٣١.

- البعد النفسي السيكولوجي :

وهو البعد الذي يعكس الحالة النفسية للشخصية فالكاتب يعطي مساحة أكبر لشخصية الرئيسية للتعبير عن نفسها والكشف عن جوهرها فالبعد النفسي هو "المحكي الذي يقوم به السارد لحركات الحياة الداخلية التي تعبر عنها الشخصية دون أن تقوله بوضوح أو عما ما تحققه هي نفسها"[٨٩].

كما تتعلق بكينونة الشخصية الداخلية و تتمثل غالبا في الأفكار والسلوكات والرغبات والآمال والعزيمة كفاية شخصية بالنسبة لهدفها...والانفعالات، إذا فالبعد النفسي يبرز الأسس العميقة الداخلية للشخصية مريم التي يظهرها المؤلف في عدة حالات نفسية كالقلق والحزن والخوف والحب والحنين وغيرها من الصفات، فمثال ذلك قلقها وخوفها على أخيها كان بارزا في عد أحداث في الرواية، ولقد تطرقت لهذا سابقا في البعد الإجتماعي حالة الحزن وهذا عندما سجنها من قبل بلقاسم"...وجهها شاحب...بكلمات تدل على العميق...كم أشعر أني ضعيفة وحزينة في هذا السجن بعيدة عن أهلي"[٩٠] في هذا المقطع تظهر الشخصية قدرا من المشاعر المختلطة من الحزن والضعف والحنين والايمان.

تقول في مقطع أخر تظهر نوعا من الصمود "..أفضل الموت على أن أكون زوجتك "[٩١]الحب والصداقة التي تظهرها لأحمد مسعودي " يا صديقي أنت تستحق أكثر من العرفان والصداقة تستحق كل إهتماماتي وكل عطفي "[٩٢] أيضا الإمتنان والذي تشعر به إتجاه زهرة التي ساهمت بشكل كبير في إطلاق سراحها " يا لها من إمرأة غامضة تلك البربرية ! ...لها من إمرأة "[٩٣] أيضا يظهر جانبا من الحب لمنطقة الجنوب " أحب رؤية الجنوب بسحر ضوئه الذي يضفى سكينة على البلاد المشمسة...الجنوب يجلب مريم ويلهم طابعها التأملي

---

[٨٩] جيرار جينيت، نظرية السرد (من النظرية والتأثير)، تر: ناجي مصطفى، منشورات الحوار الأكاديمي، ط١، ص ١٠٨.

[٩٠] محمد ولد الشيخ آغا، مريم بين النخيل، ص ١٨٣.

[٩١] المصدر نفسه، ص ١٨٥.

[٩٢] المصدر نفسه، ص ٢٥٢,٢٥٣.

[٩٣] المصدر نفسه، ص ٢٥١.

والحسي"[٩٤].

- البعد الفكري :

الذي يظهر جانب الشخصية من حيث " إنتمائها أو عقيدتها الدينية وهويتها وتكوينها الثقافي وما لها من تأثير في سلوكها ورؤيتها وتحديد وعيها ومواقفها من القضايا العديدة"[٩٥] ويتجلى هذا في شخصية البطلة مريم التي تهتم بالطائرات والطيران تقول الأم خديجة "وحتى مريم التي لا تفكر إلا في الطائرات والأسفار "[٩٦]..وعلى لسان البطلة " إنها من نوع كودرون فالين جميلة وخفيفة "[٩٧]حينما سألها صديقها أحمد مسعودي عن طائرتها حيث تظهر البطلة أن لها معرفة جيدة بالطائرات، أيضا حبها للعلم حيث أنها تتلقى دروس في اللغة العربية والقرآن وذلك تحت إشراف أحمد " مريم تقرأ : إياك نعبد إياك نستعين..

يقول أحمد عن هذا المثال: كما يبدو في هذه الأية فإن المفعول به يسبق الفعل أحيانا. وتفسير الأية يقول:

ـ أنت الذي نعبد ومنك نستمد الفرج"[٩٨]

يظهر أيضا من شخصية مريم في طريقة حديثها وحتى تعاملها مع الأخرين حيث تتعامل بطريقة جدية وحازمة رسمية مع الأشخاص الغير مرغوب بهم في حياتها مثل خطابها السابق الضابط إيفان إيباتوف

"ـ صباح الخير سيدي

كلمة سيدي هذه تفاجئ إيباتوف الذي غالبا ما تناديه مريم بإسمه "[٩٩] وهي تقريبا نفس الطريقة

---

[٩٤] محمد ولد الشيخ آغا، مريم بين النخيل، ص ٤٧

[٩٥] عبد الرحيم حمدان حمدان، بناء الشحصية الرئيسية في رواية <عمر يظهر في القدس> للروائي نجيب الكيلاني، كلية الأداب، الجامعة الإسلامية بغزة،٢٠١١، ص ١٢٨.

[٩٦] محمد ولد الشيخ آغا، مريم بين النخيل، ص ٢٥.

[٩٧] المصدر نفسه، ص ٣٣.

[٩٨] المصدر نفسه، ص ٣٥.

[٩٩] المصدر نفسه، ص ٣٤.

الحزم الذي خاطبت به مريم بلقاسم الذي أخبرها أنها سوف تتزوجه فتقول بكل حزم " أبدا ... لن أكون زوجتك"[١٠٠]

فهي لا تكسر الكلام معه وتكون جل إجاباتها مختصرة فشخصية مريم مبنية على الحرية في إتخاذ قراراتها وترفض كل ما يقيد حريتها أو ينفي شخصيتها.

ب- الشخصيات الثانوية:

وهي شخصيات التي تكون أدوارها أقل فاعلية مقارنة بالشخصية الرئيسية" هي التي تضيئ جوانب الخفية للشخصية الرئيسية تكون إما عوامل كشف عن الشخصية المركزية وتعديل سلوكها وإما تابعة لها، تدور في فلكها تنطق بإسمها فوق أنها تلقى الضوء عليها وتكشف عن أبعادها "[١٠١] وحسب ما يقول محمد غنيمي هلال" إذا كانت الشخصيات ذات الأدوار الثانوية أقل في تفاصيل شؤونها فليست أقل حيوية وعناية من القاص وكثيرا ما تحمل الشخصيات أراء المؤلف "[١٠٢]هذه الشخصية أساسية لتكملة الأحداث " تصعد إلى مسرح الأحداث بين الحين والأخر وفقا للدور المنوط "[١٠٣] وهنالك عدة شخصيات في هذه الرواية نذكر منها:

خديجة:

هي أم البطلة مريم وهي إمرأة جزائرية مسلمة

- البعد الخارجي:

وقد أبرز لنا الكاتب بعض المظاهر الخارجية لهذه الشخصية حيث لم يظهر لها صفات جسمية سوى أنها محتشمة "رغم زواجها من الضابط الفرنسي إلا أنها ظلت متمسكة بدينها حيث ترتدي المحتشم وتقوم بكل واجباتها الدينية بكل حب وحماسة"[١٠٤]

---

[١٠٠] محمد ولد الشيخ آغا، مريم بين النخيل،١٨٥.

[١٠١] صبيحة عودة زعرب ،جمالية السرد في الخطاب الروائي ،ص ١٣٢.

[١٠٢] محمد غنيمي هلال، النقد الادبي الحديث، دار الثقافة، دار العودة ،بيروت، د.ط، ١٩٧٣، ص ٢٠٥.

[١٠٣] أحمد شعث، بناء الشخصية في رواية "الحواف "لعزت العدواي، مجلة جامعة الخليلي للبحوث، المجلد ٥،العدد ٢٠١٠، ص ٣.

[١٠٤] محمد ولد الشيخ آغا ، مريم بين النخيل، ص ٢٠.

- البعد النفسي:

إهتم نوعا ما المؤلف بهذه الشخصية هذه الشخصية حيث يظهر والإرتباك وعدم الإستقرار خاصة من خلال علاقتها مع زوجها حيث أنها شعرت بالندم من هذا الزواج " لكن خديجة لم تفق من غفوتها إلا بعد ولادة جون ،تبين لها خطاها لها بعد فوات الأوان "[١٠٥] وما ترتب عن هذا الزواج الذي عاشت عدة مشاكل مستمرة خاصة بعد ولادة أطفالها " هذه الولادة ألحقت أضرار كبيرة بخديجة إذ تبين لها مدى الإزعاج الذي قد يهدد سعادتها... تعرضت لمشاكل عديدة من طرف زوجها "[١٠٦] وقد كانت خديجة تعاني كثيرا أثناء فترة زواجها" كانت أم دون أن تكون قريبة من ولديها"[١٠٧] ، وبعد وفاة زوجها توجهت لشيخ لتستشيره في أمرها " لقد يئست.. سيدي لقد بلغ الحزن منها مبلغا حتى فاضت بألمها ...وبدأت تبكي"[١٠٨]

كما يظهر هذا البعد أيضا في موقف قلق خديجة على ولديها حيث تقول " لقد كنت دائما أعارض مشروعه العسكري الذي لا محالة سينتهي به في يوم ما إلى ما لا تحمد عقباه الهلاك كما حدث لوالدك في ذلك المغرب المشؤوم "[١٠٩]وأيضا حالات الفرح حين عودة ولديها سالمين "الأن أنتما بقربي فأنا سعيدة ..سعيدة جدا "[١١٠]

- البعد الاجتماعي :

والذي يظهر الحالة الإجتماعية لشخصية خديجة المسلمة والمتزوجة من الضابط المسيحي " إلتقت خديجة مع الضابط ديبوسي في فترة جنون الشباب دون تفكير في عواقب الزواج المختلط والمشاكل المترتبة عنه من إختلاف في الأذواق والأحاسيس والمعتقدات ..

---

[١٠٥] محمد ولد الشيخ آغا ، مريم بين النخيل، ص ٢١.

[١٠٦] المصدر نفسه ، ص٢١.

[١٠٧] المصدر نفسه ، ص ٢٢

[١٠٨] المصدر نفسه ،ص ٢٦.

[١٠٩] المصدر نفسه ، ص ٢٠.

[١١٠] المصدر نفسه ،ص ٣٠٢.

خمس سنوات تمر بعد زواجها من ديبوسي لتلد لهما بنت سمياها مريم"[١١١]، تتولى خديجة رعاية أملاك الأسرة بعد وفاة زوجها.

- البعد الفكري :

حيث تظهر هذه الشخصية نوعا من الجدية في التعامل ،وطموحة تسعى للحفاظ على أسرتها تهتم بتعليم أولادها العربية والقرآن "جون ومريم وتحت إلحاح وضغط أمهما قبلا تعلم اللغة العربية وأصبحا يحسنانها محادثة وكتابة "[١١٢] كما تسعى إلى تزويجهما من مسلمين وهذا بالفعل الذي تصل إليه.

أحمد مسعودي:

هي شخصية نامية في الرواية لها أثرها في الأحداث الداخلية ، إرتبطت بشخصية مريم لما حملته من الحب والصداقة يمكن إختزال أبعاد هذه الشخصية الفكرية والجسمية و الأجتماعية في ما يلي كما يصورها المؤلف" أحمد مسعودي، المسلم ،المتعلم ،المثقف، وهو يرتدي بأناقة برنوسا من الحرير الأبيض فوق بدلة أهلية قماش أسود بدا شابا وسيما "[١١٣] حيث تظهر هذه الشخصية شابة نوعا من الأناقة في الإهتمام بمظهرها الخارجي وحتى المستوى الفكري وهذا ما تؤكده خديجة في حوارها مع إبنتها " أحمد عالم وسوف يقودك بتوجهاته النيرة إلى تعلم اللغة العربية التي تعتبر كنزا لا يفنى"[١١٤]

أما من الناحية النفسية فهو يظهر جانب من الصداقة والحب لشخصية مريم و الإهتمام بها حيث تظهر في عدة مشاهد نذكر منها " سعادتك يا مريم هي سعادتي ... أنا أحبك يا مريم... ومنذ مدة أنا أحبكـ"[١١٥]

---

[١١١] محمد ولد الشيخ أغا ، مريم بين النخيل، ص ٢٠,٢١.

[١١٢] المصدر نفسه ، ص٢٧.

[١١٣] المصدر نفسه، ص٣١.

[١١٤] المصدر نفسه ،ص ٣١.

[١١٥] المصدر نفسه، ص ٢٥٢.

زهرة:

شخصية من الشخصيات الثانوية لعبت دور لا بأس به في تحريك الرواية ، وهي كانت رفيقة القاضي إلا أنه باعها في السوق بعد أن إكتشفت أعمال القاضي الغير أخلاقية مع الصبيان، وخوفا من فضيحته قام ببيعها ، تتمتع هذه الشخصية بصفات جسمية وفكرية بحسب تصوير الكاتب في عدة مشاهد حيث يقول " إمرأة شابة لا ترتدي إلا فراجية (لحافا خفيفا) وشعر طويل...

ـ إنه الجمال بين الجمال يا سيدي ..إنها ذكية ، وتتفنن في نسج الزرابي ، ومن أصابعها تتطاير أشياء كثيرة وجميلة..."[١١٦]

تنشأ بينها وبين جون حفيظ شقيق البطلة علاقة ملئها العطف والحب " زهرة تعد الشاي بالنعناع الذي يحتسيانه بجرعات صغيره ساخنة في لقاء حميمي بوجه لوجه"[١١٧].

هذه الشخصيات التي قام المؤلف بإعطائها أسماء تدل على عروبتها وأصالتها وحتى شخصية جون أبت والدته إلا أن تضفي عليه لمسة عربية إسلامية بإضافة إسم حفيظ إليه، هذه الشخصيات بإختلاف إدوارها كان لها دور في إرساء مظاهر الهوية العربية.

---

[١١٦] محمد ولد الشيخ آغا ، مريم بين النخيل، مرجع سابق، ص١٥٢.

[١١٧] المرجع نفسه، ص١٦١.

الفصـــــــل الثـــــــاني:

ـ مفـــــــهوم النســـــــق

ـ ماهيـة النســق المضــمر

١- مفهوم النسق المضمر :

إن النقد الثقافي نشاط يهتم باستكشاف الأنساق الثقافية المضمرة ودراستها في سياقها الثقافي و الإجتماعي والديني والسياسي والتاريخي فهماً وتفسيرا.

فما مفـــــــهوم النســـــق؟ وما مفهـــــوم النسق المضمر؟

لقد تعددت تعريفات النسق في الإصطلاح وتنوعت فنجد مفهوم النسق لدى العديد من النقاد والدارسين من بينهم عبد الله الغذامي الذي أشار إلى أن النسق مرادف للبنية أو النظام فالنسق عنده يكتسب "قيمًا دلالية وسمات اصطلاحية خاصة."

و يعرف "محمد مفتاح " النسق حيث يقول "مهما إختلفت تعريفات النسق فإنه ما كان مؤلفًا من جملة أو عناصر أو أجزاء تترابط فيما بينها وتتعالق لتكون تنظيمًا هادفًا إلى غاية، وهذا التحديد يؤدي إلى نتائج عديدة. "[١١٨]

إذن نفهم هنا أن النسق يكون مؤلفًا من عناصر أو جملة مترابطة هادفة لغاية وهذه الغاية هي التي تكون موضوع النقد الثقافي الذي يهدف إلى تحليلها وإيجاد أبعادها الثقافية، والنسق المضمر يتحرك بدقة وإتقان ويتخفى آمنا تحت أقنعة جمالية لغوية أم بلاغية ويتجسد في موضوعات إجتماعية ودينية وفلسفية وأخلاقية وجمالية وغيرها من مسميات المواضيع.

وإذا جئنا إلى رواية "مريم بين النخيل " لمحمد ولد الشيخ أغا نجدها تضمنت في بنائها العديد من الأنساق المضمرة القادرة على المراوغة والتمنع، ونبدأ بالعنوان :

- رمــزية العنـــوان :

يعد العنوان أحد الأنساق المضمرة المخفية في النص كما أن له أهمية كبيرة في الوصول

[١١٨] محمد مفتاح ،النص من القراءة إلى التنظير، شركة للنشر ، مغرب ،ط١ ،٢٠٠٠ ص٤٩

إلى المتن السردي، فهو يمثل عتبة من عتبات النص لتوضيح لبسه وتفكيك شفراته، حيث يساهم العنوان في منح فكرة توضح دلالات وخبايا النص، ومعرفة وتأويل ما تحمله الرواية من مقاصد من خلال وظيفته الإيحائية فتبرز رؤية الروائي للقارئ.

ـ "مريم بين النخيل " هذا العنوان قد يبدو مألوفا وله دلالات تربط بين الدين المسيحي والدين الإسلامي، فكلنا نعلم عن مريم بنت عمران والنبي عيسى عليه السلام، والذي جاء ذكرهما في القرآن الكريم في عدة مواضع، حتى أن هناك سورة بإسم السيدة مريم، أما في الدين المسيحي فهي أم المسيح، أعتقد أن الكاتب قد اختار هذا الإسم للدلالة على الزواج المشترك بين جزائرية مسلمة وفرنسي مسيحي، نظرا لإسم مريم الذي يحمل رمزية مشتركة بين المسيحيين والمسلمين أما كلمة النخيل فترمز ربما للصحراء وترمز للكرم الذي يتميز به أهل الصحراء، أو ربما دلالة عن استناد السيدة مريم على النخلة عند ولادتها وهذا العنوان لم يوضع اعتباطاً، فعند قراءة الرواية نجد أن الروائي قد وفق إلى أبعد حد في اختياره ، فبعد قراءة الرواية نجد أن هناك تشابه رمزية العنوان ومحتوى المتن الروائي.

٢- تمظـــــــــهرات الأنســـــــــاق المضمرة

أ-النســق الإجتماعـي :

عالم الإجتماع الأمريكي" تالكوت بارسونز" أول من تطرق إلى تعريف النسق الإجتماعي يقول " هو نظام ينطوي على أفراد فاعلين تحدد علاقاتهم بمواقفهم وأدوارهم التي تنبع من الرموز المشتركة والمقررة ثقافيا "[١١٩].

لقد صور الكاتب أدق التفاصيل في روايته حتى " لحظة ضعف مريم وحزنها على والدها " ليون ديبوسي" الذي قتل في معركة بالمغرب فهي تفتقده بشدة لدرجة أنها تخاطب صورته المعلقة على الحائط "[١٢٠] ليس سهلا أن تفقد من تحب خاصة إذا كان هذا الشخص

[١١٩] ـ اديث كريزويل : عصر البنيوية، ترجمة :جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت،ط١ ،١٩٩٣ ،ص ٤١٣.

[١٢٠]ـ ينظر محمد ولد الشيخ أغا ، مريم بين النخيل، ص٢٠

والدك، فمريم محتارة وخائفة على أخاها جون من أن ينتهي به المطاف بالهلاك كما حدث لوالدها، إضافة إلى أنها كانت مستمرة في البحث عن إجابة تشفي خوفها وتطمئنها إنها تحاول إيجاد مبرر لتعريض نفسه للخطر، وأخيرا وجدته بعد النظر إلى صورة والدها متذكرة المبادئ التي علمها اياها فلطالما إعتبرته مثلها الأعلى في الحياة، فواجب المواطن النبيل الذي يحب بلده أن يخدمها فأخذت تبحث في مخيلتها عن أبسط ردة فعل في صورته فوجدته بصمته يؤيدها كما ينطبق مع المقولة الشائعة السكوت علامة الرضا، تقول خديجة لزوجها النقيب ديبوسي والد مريم وجون " أنا لا أفهم احتقارك ولا مبالاتك بعد عشر سنوات زواج"[1] "لقد تعبت تعبت وأنجبت له طفلين جميلين أرادت أن تكون له أسرة جميلة مستقرة مملوءة بالحب والمودة "[2] "تأثرت خديجة بمعاملة زوجها هي أم ككل الأمهات خائفة على أسرتها، تريد المحافظة عليها تريد محاربة الإختلاف الذي كان يفرقها عن زوجها ويبعد ولديها عنها "[3] "ما قيمة الأسرة ؟ إن لم يكن الاحترام أساسيا فيها ما قيمتها إن عنفت الأم جسديا أم نفسيا وحرمت من فلذة كبدها هذا ما حدث مع خديجة زوجت النقيب ديبوسي ،أخذت خديجة تلوم زوجها على جحوده ونكرانه للخير الذي قدمته له فقد ساندته وأنجبت له طفلين جميلين ، إلا أنه قابل حسنتها بسيئة فحرمها من جون ومريم لم يدعها تربيهما وتعلمهما عاداتها وتقاليدها حتى مبادئها في الحياة ،كان دائما يراقب علاقتها بولديها حريصا على ما يتلقيانه منها." أخبرها ذات مرة أنه يريد لهما أن يكونا مثله بإدعائه أنه مفكر"[4] " إن إختلاف عادات وتقاليد الوالدين في الأسرة قد يشكل فجوة كبيرة، بل قد يسبب شتاتا بينهما وبين الأولاد خاصةً إذا لم يكن بينهما تفاهم في هذا الموضوع حاولت خديجة المسكينة الأم الجزائرية المسلمة إقناع زوجها

---

[1]. محمد ولد الشيخ أغا ، مريم بين النخيل، ص ٢٢ .

[2] ـ ينظر ـ المصدر نفسه ، ص ٢٢

[3] ـ ينظر المصدر نفسه ،ص٢٢

[4] ـ ينظر، المصدر نفسه ،ص ٢٣ .

بمحاربة الإختلاف الذي يفرقهما ولم شمل ولديها فهي خائفة من أن يضيعا من بين يديها إن استمرا في هذا الطريق.

تقول خديجة للشيخ " لقد اكتسبا من والدهما تربية تعيق الآن مشاريعي ... فهي تمنعهما أن يريا بوضوح، وعقلهما أصيبا بالعمى.. لقد يئست سيدي أنا المسؤولة الوحيدة .. لولا طيش شبابي ما ارتكبت هذه الزلة.. هذا الخطأ "[1].. باشرت الأم المسلمة خديجة في التفكير في حل لإنقاذ أبنائها من العصرنة التي يهتمان بها، فقد منحهما والدهما تربية حرة منحلة بدون ضوابط وقيم، فالعصرنة تعد العدو اللدود لكل القيم والأخلاق، فذهبت الأم المسكينة إلى شيخ ذو علم عله يساعدها ويقترح حلول ترجع ولديها للسراط المستقيم، نادمة متحسرة على زواجها الذي سمته طيش شباب، فالعادات والتقاليد تحبذ على الفتاة أن تتزوج رجلا من بني جلدتها ،يشاركها عاداتها وتقاليدها ودينها أيضا لكي تنعم بالحياة السعيدة والهادئة.

بعد عراك طويل بين مريم وخطيبها الفرنسي إيباتوف تقول مريم "هذا بهيمة ..أبله... لا يمكنني أن أحبه أبدا، سأكون تعيسة إن عشت معه"[2]..

" ذكرتها أمها بأنها لم تكن راضية من البداية على خطبتها من إيباتوف " فقلب الأم يحس خديجة كانت تراقب إبنتها وتتمنى فسخ خطوبتها فقد كانت تحرص على سعادة أبنائها "[3]ترفع مريم رأسها وترد بكل أسى " لم أكن أعلم، أماه، لم أكن أعرفه جيدا... هذا الأسبوع علمت عنه أشياء خطيرة، كلها ضد "[4]

إن العلاقة بين الطرفين تبنى على الحب والإحترام ، لقد صدمت مريم بخطيبها فقد كشف وجهه الحقيقي أصابتها موجة غضب وحزن، فهو لم يحترمها حتى في جلسة تعليمها ولم يحترم معلمها فسلوكه لم يكن سلوك رجل مسؤول ومحترم، يحب خطيبته ويهتم لأمرها

---

[1]- محمد ولد الشيخ أغا ، مريم بين النخيل، مرجع سابق، ص ٢٥، ٢٦ .

[2]- المصدر نفسه، ص ٣٩.

[3] - ينظر، المصدر نفسه، ص ٣٩.

[4]- المصدر نفسه، ص٣٩.

فكما نعلم إن من أهم معايير إختيار شريك العمر الأخلاق فهي التي تبقى ولا تزول.

لقد فرحت خديجة بإبنتها لإستيعابها لتصرفات خطيبها وأخبرتها عن رفضها المطلق لهذه العلاقة فخديجة لم تكن راضية عما يحصل حولها، صحيح ان رضا الوالدين يقينا ويحمينا في هذه الحياة فلن يحبك أحد مثل والديك، فأرشدت إبنتها مريم إلى الحل الأمثل "بإنهاء علاقتها مع إيباتوف خطيبها المستغل للأبد."[1]

تكشف الرواية كيف أن خديجة الأم المسلمة الجزائرية تناضل ضد زوجها العسكري الفرنسي وهنا نستنتج بأن الروائي يخبرنا عن مناضلة الشعب الجزائري ضد الإحتلال الفرنسي الذي سلبه كافة حقوقه والذي يريد أن يطمس هويته فهوية الشعب الجزائري تتمثل في الدين والعادات والتقاليد فالضابط ديبوسي يمنع زوجته من ممارسة تفاصيلها على أبنائه ففرنسا حرمت الشعب الجزائري من ممارسة أبسط حقوقه بل وأرادت فرنسته بطمس أصوله إلا أنها في النهاية لم تستطع ممارسة طغيانها كما توفي الضابط الفرنسي ديبوسي وحققت خديجة مرادها بإسترجاع هوية أبنائها والمحافظة عليها.

ب . النسق الديني:

للدين تأثير كبير في كل المجتمعات، كونه يساهم في تحقيق الإستقرار والأمن والأمان لأنه كلما تحسنت سلوكيات أفراد المجتمع سينعكس عليه بالإيجاب، فبه تتحقق العدالة والمساوات.

لقد تطرق محمد ولد شيخ أغا في روايته مريم بين النخيل، لحال الكثير من المسلمين الذين لا يطبقون الدين الإسلامي، فديننا أخلاق ومعاملة حسنة ساوى بين الناس، فالناس سواسية كأسنان المشط.

[1]- ينظر، محمد ولد الشيخ أغا، مريم بين النخيل، ص ٤٠

تقول يسمة زوجة القائد بلقاسم له " ليست هذه أسباب لاضطهادهم، إنهم إخوتنا. الرسول صلى الله عليه وسلم قال إن كل المخلوقات عباد الله لا تظلم اليهودي ولا أطفال إسرائيل، احذر يا بلقاسم سيحاسبك الله[1]" لقد حاولت يسمة التنفيس عن غضبها من زوجها بلقاسم بسبب ظلمه لها وللناس فقد كانت تكتم في قلبها كثيرا لقد" أخبرها عن نفروتان البربري بقوله أنه قتل مولاه عبد الله وبأنه يهودي واليهود يكرهون المسلمين ثم أخذت تذكره بجرائمه الشنيعة "[2] التي قام بها ولازال مستمرا عله يتراجع عن تصرفاته ويكون قائدا عادلا مخلصا لشعبه يهتم لمصالحهم ولا يستغلهم لخدمة مصالحه الشخصية ذكرته بقول الرسول هنا إستحضرتني قصة الرسول مع جاره اليهودي الذي كان يرمي القمامة أمام بيت الرسول وكيف أن الرسول صفح عنه وسامحه وزاره في منزله إضافة إلى أن اليهود كانو يعيشون مع المسلمين في عهد الرسول في بلد المسلمين بدفعهم للجزية قال الله تعالى { بسم الله الرحمان الرحيم "لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ" صدق الله العظيم} (سورة الكافرون، الآية رقم ٦) "[3].

لقد حاولت يسمة تذكير زوجها بدينه وكيف أن دينه يسامح ويصفح ويعدل بين الناس متخذتا بذلك قول الله تعالى { بسم الله الرحمان الرحيم وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ }.(سورة الذاريات الآية رقم ٥٥) "[4] .

توجهت خديجة أم مريم إلى شيخ عالم ليساعدها على تنوير ولديها وإهتدائهم للطريق " فنصحها بأن تعلم ولديها القرآن الكريم فهو ينهى عن المنكر كما أنه دليل المسلم في حياته يرشده للطريق المستقيم ."إن الفتن كثرت في هذا العالم وظل الكثير الكثير من الناس سيفوز من إقتدى بدين الله الواحد وطبقه واتخذه سلاح لمواجهة مفاتن الحياة .فبدون الدين يضيع الإنسان نحن موجودون لغاية واحدة هي عبادة الله سبحانه وتعالى وتطبيق ما أمرنا به.

---

[1]- محمد ولد الشيخ أغا، مريم بين النخيل ، ص١٠١.

[2] - ينظر المصدر نفسه، ص ١٠١.

[3] - القرآن الكريم، سورة الكافرون، الآية رقم ٦.

[4]- القرآن الكريم، سورة الذاريات، الآية ٥٥.

تقرأ مريم" إياك نعبد وإياك نستعين "، ثم يقول أحمد عن هذا المثال، كما يبدو في الآية فإن المفعول به يسبق الفعل أحيانا، وتفسير الآية أنت الذي نعبد، ومنك نستمد الفرج "[1] أحمد المعلم الذكي أراد أن يضرب عصفورين بحجر واحد، فهو ينوي تعليم مريم اللغة العربية بأمثلة قرآنية فالعربية هي لغة القرآن، ثم فسر لها الآية لكي تنتبه للإعجاز العظيم الذي يحتويه القرآن الكريم أرادها أن تتبع دينه ودين أمها فهو خلاصها، وأن تقوي إيمانها بالله تعالى فهو منجي الإنسان من كربه وحاميه في هذه الحياة.

يقول الله تعالى " وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (سورة البقرة الآية ٢٢١)"[2].في هذه الآية أمر الله تعالى المسلمات من النساء أن لا يتزوجن مشركين لا يؤمنون به فكل من تزوجت مشركا الله فزواجها محرم وباطل، ولا يعتبر زواجا شرعيا.

تقول خديجة " لقد تزوجتك بالرغم من ماضينا واختلاف دياناتنا، من أجلك تحديت إرادة والدي ورضيت بسخطهما "[3].

لقد تزوجت خديجة النقيب ديبوسي بالرغم من رفض والديها له، لأنه غير مسلم يقول الله تعالى "{ بسم الله الرحمان الرحيم وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ صدق الله العظيم } (سورة العنكبوت، الآية ٨) "[4]

---

[1]- محمد ولد الشيخ أغا ، مريم بين النخيل، ص ٣٥.

[2] - القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ٢٢١.

[3]- محمد ولد الشيخ أغا ، مريم بين النخيل، ص٢٢.

[4]- القرآن الكريم، سورة العنكبوت، الآية ٨.

لقد أحست خديجة بذنبها فقد عصت الله تعالى ووالديها أيضا وقد دفعت ثمن ذلك يكرمها فهو لا يخاف الله مشركا به، بعد توبت خديجة لله تعالى وإعترافها بذنبها، تحسنت أوضاعها فأكيد بأن الله تعالى قبل بتوبتها وغفر لها إنه غفور رحيم.

ج . النسق السياسي :

إنه السلطة والقدرة والقوة التي تمكن الأجهزة من السيطرة على الناس، والحصول على طاعتهم وتضع سياستها موضع التنفيذ من أجل تحقيق أمنها.

يكشف محمد ولد شيخ أغا في روايته عن علاقة السلطة الحاكمة بالرعية، ومظاهر الفساد في حكم بلقاسم، من خلال تجسيده لأدق تفاصيل الواقع السياسي في فترة حكمه فقد تجبر وطغى وإستغل شعبه لخدمة مصالحه الشخصية، لم يكن ذاك الحاكم العادل الصبور المصلح لأوضاع شعبه بل كان يرضي غروره ويلبي نزوات نفسه.

يقول أحمد زربة لقائده بلقاسم " القبائل تهتف بك وتحييك، يجيب بلقاسم رؤساء القبائل هل هم راضون؟ ومتى يحضرون ؟ ـ وهل زرت قبيلة أيت بوراك ؟ "[1] أخبره خادمه المطيع أن هناك قبيلة تخطط للإنقلاب عليه، وأن المقر الذي يخططون فيه هو في محيط قصر "فزنة "[2].

لقد تلقى بلقاسم " تحذيرا مفاده بأن الكثير من الناس يريدون إسقاطه و إستبداله، وبأن قائد حركة الإنقلاب التي تشن ضده هو الشيخ سيدي مولاي لحسن المحرض والمسؤول على هذه الحركة ... إني أحذرك، ولكن بعون الله ستفشل مؤامرته "[3].

لقد لامس الكاتب في روايته الرائعة جانبا سياسيا من جوانب الحكم في عصرنا، ألا وهو محاولة الحاكم ضم عددا من الزعماء ذوي المناصب الكبرى في البلد عن طريق أو خدمتهم أو تلبية حاجاتهم قصد كسب ودهم وتعاطفهم معه وبذلك يشكلون له درعا حاميا يصعب

---

[1] . محمد ولد الشيخ أغا ، مريم بين النخيل، ص ٨٩ .

[2] ـ ينظر، المصدر نفسه، ص٩٠

[3] ـ ينظر، المصدر نفسه، ص ٩٠.

إختراقه في حالة ما إذا خاض حربا أو إنقلب الشعب ضده فيتلقى مساعدات سواء مادية أو معنوية من حلفائه، هذا مايحاول القائد بلقاسم فعله فهو يريد كسب ثقة قادة الزعماء لدعمه في أوقاته الصعبة، إلا أنه إكتشف أن أحد الشيوخ من فصيلة قبيلة أيت بوراك، يخطط للإنقلاب والايقاع به مع مجموعة كبيرة من الناس الذين يريدونه أن يتنحى عن منصبه سي مولاي هوشيخ محبوب ذو صوت مسموع بين قبيلته لأفعاله الخيرة فقد ساعد الكثير من الناس، عند سماع بلقاسم الخبر غضب بشدة لأنه أحس بالخيانة وأن منصبه في خطر، إن الإنقلاب الديمقراطي يأتي إستجابة لحراك شعبي ضد نظام سلطوي كنظام بلقاسم المتسلط.

يقوم صديق بإحضار قائمة المحاكمات الذي نقلها له القاضي" فيراجعها بلقاسم ويضيف بعض التعديلات، بوهادي بن أحمد له غرامة خمسة عشرة ريال ويجلد خمسين جلدة لأنه لم يحترم القاضي، أيضا سدربة له خمس ريالات لأنه جرح حمار "[1]

من الصفات التي يجب أن تتوفر في القائد الناجح هو الجانب الإنساني يجب ألا يغيب لايجب إغفال التواصل الإنساني مع شعبه، لن يكون عادلا معهم، لأنه لا يراعي الظروف الشخصية لكل واحد منهم، لقد قسى بلقاسم على رعيته بشكل مفرط خاصة مع الذين إرتكبو مخالفات بسيطة فقد أراد أن يخدم مصالحه عن طريق دفع غرامات مادية كبيرة للخزينة كان همه الوحيد زراعة الرعب في العامة، حتى إنه راجع المحاكمات وأضاف عليها تعديلات بمبالغ ضخمة لقد عاقب سدرة الذي جرح حمارا بإدعائه أنه " يساند حقوق الحيوان وأن فرنسا وأوروبا لديهم قانون ينص بعقوبة ضد المسيئين للحيوان حتى إنه أحضر صبي ليبيعه إنه يجعل قيمة للحيوان أكثر من الإنسان "[2] ويحكم بين شعبه وفق مزاجه منافق لا يميز بين أفعاله إن الحاكم العادل يهتم لأمر الناس لمعاناتهم و لإحتياجاتهم.

[1] محمد ولد الشيخ أغا، مريم بين النخيل، ص ٩٦.

[2] ينظر، المصدر نفسه، ص ٩٧.

يقول بلقاسم بعد علمه بقدوم العدو" أتريدون أن نخضع لتهديداتهم؟ أتقبلون أن يحضروا ويطبقو قوانينهم علينا أخذ يخاطب مناصريه عن الكرامة ويحثهم على المقاتلة والتصدي للعدو "[1]

إن الفطرة الإنسانية الموجودةٍ في داخلنا تقوم على الشعور بالقهر والغَصّة في حال تمَّ المساسُ بها أو التعدي على حقوقها، فقد نفعل أيّ شيءٍ حتى نسترده ونثأر لأنفسنا. كما أن الوطنية مفهومٌ أخلاقيٌ، دفع المواطنين إلى التضحية براحتهم، وربما بحياتهم من أجل بلادهم ومن أجل المحافظة على وطنيتهم، لقد أحس القائد بلقاسم بالظلم عند سماعه أن العدو قادم لإحتلاله وتحطيم سلطته فأراد أن يثبت للناس بأنه قائد شهم متناسيا بأنه هو الذي إستفز العدو وأشعل فتيل الحرب بأسره لثلاث فرنسيين مطالبا بالفدية، فمؤكد أن الدولة الفرنسية لن تغفر له ذنبه لتعديه عن مواطنيها أخذ بلقاسم يلقي خطابا رئاسيا على المحاربين وكبار مناصريه يبث فيهم روح القتال لإسترداد كرامتهم والدفاع عن أنفسهم متخذا بذلك مبدأ مقولة ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة.

يسمة زوجة بلقاسم تقول لزوجها بلقاسم وكلها غضب " بفضلي أنت جالس على هذا العرش، عرش زوجي الأول الذي لم تكن إلا خليفة عنده، وبعد وفاته رضيت أن أتزوجك وسلمتك كل رزقي على الأمل أن أعطي لشعبي قائدا صالحا وعادلا وشهما."[2]

لقد قام بلقاسم بإغتيال زوج يسمة السابق ، لإستلائه على عرشه وتنصيب نفسه قائدا بعده بعد أن كان خليفته قام بإنقلاب ضده ثم تزوج زوجته، إنه الكره لقد كره بلقاسم حاكمه السابق نفروتان بحجة أنه قاتل مولاه عبد الله وأنه يقتل الكثير من الأبرياء، هذا هو حب السلطة حب التملك والغرور دفعه للقيام بأي شيء حتى القتل، " تعترف يسمة بخطأها مغتاضة لقد أحست بأنها سبب تعاسة شعبها، ثم وجهت لومها على بلقاسم ذكرته بما فعلته

[1] ينظر، محمد ولد الشيخ آغا، مريم بين النخيل ، ص ٢٦٤.

[2] المصدر نفسه ، ص١٠١.

لأجله وما ضحت به فهو قائد بفضلها"[1]، لم يتعض محبو السلطة من تجارب أسلافهم التي تلقي على الجميع دروسا بليغة، وتدفع بهم إلى أقدارهم التراجيدية بعد أن شرّدت أسرهم ودمرت أوطانهم التي يدّعون أنهم بنوها ثم يسيرون إلى حتفهم، فيدفعنا إصرارهم هذا إلى تدبّر بناء شخصياتهم النّفسية لفهم الأسباب، يفقد المرء مناعة ضد النرجسية أكثر إذا ما تسلّق هرم السلطة، فقد أثبتت التجارب أنّ النزعات النرجسية تبرز عند الشخص العادي حالما يجلس على كرسيّ الحكم. فتكاد تكون سمة ملازمة للوظيفة السياسية. والعكس صحيح أيضا. فكثيرا ما يكون الوصول إلى قمّة السّلطة نتيجة لهذا البعد المرضي؛ أي نتيجة لرغبة الشخصية النرجسية في إشباع حاجتها إلى حصد الإعجاب والاعتراف والحب. وهل توجد منصّة أفضل من كرسيّ الحكم لعرض الذّات على الملأ وجلب الاهتمام لها؟!

[1] محمد ولد الشيخ أغا، مريم بين النخيل، ص١٠١.

الخـــــــاتمـــــة

خاتمة

بعد الدراسة والتحليل توصلنا إلى جملة من النتائج، وهي التي ستتوج بحثنا، ويمكن تحديد هذه النتائج في النقاط الآتية:

١- أن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، والأدب الجزائري باللغة العربية وجهان لعملة واحدة يمثلان الصوت الجزائري المرتبط بوطنه وهويته، يمثلان الصوت الواحد الذي ينقد الواقع الأليم ويرفضه خاصة ما عاشه الشعب في الفترة الاستعمارية.

٢ – لقد ارتكزنا في هذه الدراسة على عدة عناصر نظرية في مجال الخطاب الكولونيالي والخطاب المضاد للكولونيالية (ما بعد الكولونيالية)، إذا كان الخطاب الكولونيالي جاء ليرسخ في أذهاننا فكرة المركز من خلال سلطته وجبروته على الشعوب المستعمرة، فإن الخطاب ما بعد الكولونيالي جاء كرد فعل لهذا التجبر، فرد المضاد يصف لنا تلك المقاومة الثقافية التي يقوم بها المستعمَر، كما يصفها إدوارد سعيد وذلك لاسترجاع الهوية المسلوبة وإثبات الثقافة التي شكك المستعمر في وجودها.

٣ – محاولة فهم الشرق والغرب فهما حقيقيا واكتشاف العلاقة التي تربطهما، وهي علاقة القوة والهيمنة التي يمارسها الآخر (الغرب) على الشعوب المستعمرة.

٤ – أن هذه النظرية ترتكز على العلاقة القائمة بين الأنا والآخر، والشرق والغرب، والمركز والهامش وتفكيك الخطاب الاستعماري، وكذلك المقاومة بأنواعها خاصة الثقافية.

٥ – نسعى هذا البحث إلى إبراز مظاهر الدفاع عن الهوية الوطنية والقومية ونبذ سياسة الإقصاء والتهميش للشخصية الوطنية، التي تتجلى في هذه الرواية.

ولقد توصلنا في الجانب التطبيقي من خلال دراستنا للرواية إلى بعض النتائج وهي:

– أن الرواية هي أكثر الأشكال الأدبية التي لم تعبر عن التوسعات الإستعمارية فحسب وإنما ارتبطت بها وتزامنت معها لتكون في عصر الجنس الأدبي المركزي ، فلا يزاحمها في هذه المكانة نوع أدبي آخر؛

– تحمل رواية "مريم بين النخيل " في طياتها صراع هويات حتمية لا مفر منه رغم أنها مضمرة جزء منه صراع ثقافي لغوي، وجزء آخر صراع قومي وطني، كما أنها عبارة عن قناع تستر خلفه الروائي محمد ولد الشيخ آغا، للتعبير عن وضعية المجتمع الجزائري والسكان الجزائريين الذين يرزحون في أغلال الاحتلال، ويعانون الهيمنة، ويعانون ومن الفقر المدقع وانتشار الدعارة ودناءة التجار اليهود وجشعهم وتجار الجواري والرقيق واستعباد البشر، كلها مظاهر تعكس الوجه البشع للاستعمار الفرنسي الذي مارس كل الوسائل لتغطية جرائمه وليبين للناس أن فرنسا دولة حرية وعدل وأن الخلاص بإتباعها.

– تبين لنا من خلال دراسة رواية "مريم بين النخيل" لمحمد ولد شيخ آغا أنها تحوي عددا كبيرا من الأنساق المضمرة والقارئ لهذه الرواية يجد أنها تحمل وعيا عميقا بالبعد الثقافي الذي أثرى النص، ودليل ذلك ما تضمنته الرواية من أنساق مضمرة (دينية، إجتماعية وسياسية)، تختبئ تحت الغطاء الجمالي، لأن النقد الثقافي لا يحتفي بالبعد الجمالي وإنما يحتفي بهذه الأنساق المضمرة.

ختاما نتمنى أننا قد استطعنا في هذا البحث تقديم قراءة جيدة لهذه الرواية التي نحسب أنها تستحق القراءة والتحليل خاصة باستعمال منهج النقد الثقافي والدراسات الثقافية كما تمكنت هذه الدراسة من خلال فصولها ومباحثها من الإجابة عن العديد من التساؤلات وتبقى الرواية بحاجة لأن تدرس من مختلف الزوايا النقدية الفكرية والجمالية.

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم برواية ورش عن نافع

قائمة المصادر والمراجع :

أولا المصدر :

- محمد ولد الشيخ أغا، مريم بين النخيل، ترجمة: د.معراج أغا، فواصل للنشر والإعلام، غرداية، الجزائر.

ثانيا المراجع :

الكتب العربية :

- وسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، البحث في الاصول التاريخية والجمالية، الشركة الوطنية للكتاب الجزائري. ط ١. ١٩٨٦.
- عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية سنة ١٩٨٢.
- عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط١ ٢٠٠٣.
- محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، فيفري ١٩٩٩.
- أمال علاوشيش، مابعد الكولونيالية، ضمن كتاب خطابات ال مابعد، مجموعة مؤلفين، ط١، ٢٠١٣.
- محمد غنيمي هلال، النقد الادبي الحديث، دار الثقافة، دار العودة، بيروت، د.ط، ١٩٧٣.
- نادر أحمد عبد الخالق، الشخصية الروائية بين باكثير ونجيب الكيلاني دراسة موضوعية وفنية، دار العلوم والإيمان، كفر الشيخ، ط١، ٢٠١٠.

- صبيحة عودة زعرب، جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلان نعمان، ط١، ٢٠٠٦.
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد محمود شاكر، دار المدني، السعودية، ط ١، ١٩٩١.
- محمد عابد الجابري، مسألة الهوية والعروبة والإسلام والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة الثقافة القومية ٢٧ قضايا العربي ٣، بيروت، لبنان، ٢٠١٢.
- عبد العزيز عثمان التويجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة، دار الشروق، القاهرة،٢٠٠٤.
- جلال أمين، العولة، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٩.
- محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الأتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، القاهرة ١٩٩٨.
- ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل النقاد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، ط٤، الدار البيضاء– المغرب، ٢٠٠٥ م.
- محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط١، ٢٠١٠م
- محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظير، شركة للنشر، مغرب، ط١، ٢٠٠٠.
- عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية، المركز الثقافي العربي، المملكة المغربية، دار البيضاء، ط٣، ٢٠٠٥

الكتب المترجمة :

- بيل أشكروفت وآخرون، الإمبراطورية ترد بالكتابة، ترجمة: خيري دومة، أزمنة لنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط١١، ٢٠٠٠.

- بيل إشكروفت وآخرون ،دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسة ، ترجمة:أحمد الروبي و آوخرون ،المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط١،٢٠
- جان بول سارتر ، عارنا في الجزائر ،ترجمة :عائدة سهيل إدريس، دار الأداب.عن أمين الزاوي ، الرواية المكتوبة بالفرنسية
- بيل أشكروفت و اخرون ،الرد بالكتابة المنظومة العربية للترجمة ،بيروت لبنان ،ط١ ٢٠١٠
- آنيا لومبا في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، ترجمة :محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار،ط١ ، سوريا، ٢٠٠٧ م.
- جون جوزيف ،اللغة والهوية ، ترجمة:عبد النور خرافي ،عالم المعرفة ،المجلس الوطني لثقافة والفنون والأداب ،الكويت ،فيفري ١٩٧٨.
- جيرار جينيت ،نظرية السرد ،من النظرية والتأثير ،ترجمة :ناجي مصطفى ،منشورات الحوار الأكاديمي ،ط١.
- هرلمبس وهولورن ، سوسيولوجيا الثقافة والهوية ،ترجمة :حاتم حميد حسن ،دار كيوات لطباعة والنشر ،دمشق نسوريا،ط١، ٢٠١٠
- أليكس ميكشيللي ،الهوية ،ترجمة :علي وطفة ،دار الوسيم للخدمات الطباعية ،دمشق ،ط١ ،١٩٩٣
- ألياس بلكاوي ومحمد محرز ، إشكالية الهوية والتعدد اللغوي في المغرب العربي ، مركز الإمارات لدراسات والبحوث الإستراتيجية ،أبوضبي ،ط١ ، ٢٠١٤ .
- ستيوارت هول ،حول الهوية الثقافية ،ترجمة :بول طبر ،مجلة إضافات ،ع٢ ،٢٠٠٨.
- ميخائيل باختين ،الخطاب الروائي ،ترجمة وتقديم :محمد براءة الرباط :دار الأمان للنشر والتوزيع .١٩٨٧.
- اديث كريزويل ،عصر البنيوية ،ترجمة :جابر عصفور ،دار سعاد الصباح ، الكويت ،ط١ ،١٩٩٣

باللغات الاجنبية :

Jean dejeux .situation de la littérature maghrébine de langue française . ed ٨٢ office de publications universitaires .

Josette Bryson , la grande Maison et sa réception critique dans la Presse (Euvres et critiques revue internationale),

الموسوعات :

- أندريه لالاند ،موسوعة لالاند الفلسفية ،ترجمة :خليل أحمد خليل ،منشورات عويدات ،بيروت لبنان ،ط٢ ، ٢٠٠١.
- نبيل راغب موسوعة النظريات الأدبية ،الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ،ط١، ٢٠٠٣ .
- ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، مريم–إسم https://ar.wikipedia.org/wiki/

قائمة المعاجم :

أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة ،عالم الكتب، القاهرة، ج١ ،ط ٢٠٠٨.١

- الشريف الجرجاني ، كتاب التعريفات ، دار الفكر للنشر و التوزيع، ط١، ١٩٩٨ .
- مجدي وهبة وكامل المهندس ،معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ،مكتبة لبنان ،بيروت ،لبنان ط٢ ،١٩٨٤ .
- معجم المعاني الجامع، النخيل https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/

المجلات :

- وليد خالد أحمد ،الأخر في الثقافة العربية من القرن السادس عشر حتى القرن العشرين ،كتابات الخميس ٤ آذار ٢٠١٣

- ماجدة حمود ،إشكالية الأنا والأخر ،عالم المعرفة ،الكويت ،ع ٣٩٨،مارس ٢٠١٣
- طارق ثابت ،هوية الأدب الحضور و الغياب في الخطاب النقدي العربي ما بعد الكولونيالية ،مجلة الأثير ،ع١٢ ،ديسمبر ٢٠١٤.
- محمد زغو ،أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب ،الأكاديمية للدراسات الإجماعية والإنسانية ،ع٤ ،٢٠١٠ .
- محمد سعدي ،الهوية من الوحدة إلى التعدد ،آفاق المستقبل ،ع٧ ،سبتمبر /أكتوبر ،٢٠١٠ .
- أحمد شعث ،بناء الشخصية في رواية "الحواف "لعزت العدواي ،مجلة جامعة الخليلي للبحوث ،المجلد ٥،العدد ٢٠١٠ .

الرسائل الجامعية :

- عبد الرحيم حمدان حمدان ،بناء الشحصية الرئيسية في رواية <عمر يظهر في القدس> للروائي نجيب الكيلاني ،كلية الأداب ،الجامعة الأسلامية بغزة ،٢٠١١
- ليندا بن عباس ، الشخصية في الرواية لإبراهيم الكوني ،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، إشراف :د.عبد المالك ضيف ، تخصص أدب عربي حديث ، جامعة محمد بوضياف الجزائر ، ٢٠١٥
- زكية عرعار ،الخطاب النقدي مابعد الكولونيالي عند مصطفى الأشرف ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث ،النقد الأدبي والدراسات الثقافية ،جامعة قاصدي مرباح ورقلة ،٢٠١٧,٢٠١٨.
- عبكة ايمان ،نقض الرؤية الكولونيالية والبحث عن الذات في رواية معارضة الغريب لكمال داود ، مقاربة على ضوء الدراسات مابعد ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي تخصص ادب جزائري، جامعة عبد الرحمان ميرة –بجاية– كلية الأدب والعلوم الإنسانية ،٢٠١٦/٢٠١٧.

ملحـــــــــــق

- بيـوغرافيا الـؤلف

-ملخص الدراســة

نبذة عن الروائي:

محمد ولد شيخ آغا هو أحد رواد الكتابة باللغة الفرنسية من مواليد مدينة بشار ٢٣ فبراير سنة ١٩٠٧م زاول دراسته الإبتدائية والمتوسطة في مدينة بشار ثم إنتقل لدراسة المرحلة الثانوية في مدينة وهران لكن في نهاية السنة الأولى ثانوي أصيب بمرض ضيق التنفس فلم يستطع تحمل المناخ الرطب في مدينة وهران فرجع إلى مسقط رأسه مدينة بشار وإنكب على قراءة الكتب و المطالعة ثم بدء رحلته في الكتابة وكانت أول تجربة له عبارة عن قصة صغيرة تحت عنوان رازية في الصحراء سنة ١٩٢٤ بعمر ١٧ سنة ثم تبعها بمجموعة من القصص الصغيرة مابين سنة (١٩٢٥، ١٩٢٨) كقصة المثناء وأخرى بعنوان المكتوب ثم أصدر مجموعة شعرية بعنوان الرقصة بالقناع و أفراح في مأتم و المهملة و معاناة سرية كل كتاباته نشرت في وهران ثم كتب رواية مريم بين النخيل سنة ١٩٣٦ في فترة إحتفال فرنسا بالذكرى المئوية للإحتلال الجزائر.

البرنامج الإذاعي والأسبوعي الثقافي "بين دفتي كتاب" الذي يبث من مدينة عين تيموشنت إستضاف لقاءان الشهر الماضي يوم ١٣ و ٢٧ ماي مع الأستاذ د.أغا معراج للتعرف على رواية مريم بين النخيل فقد تمت ترجمتها على يديه كما إستضافته المكتبة الرئيسية بولاية ورقلة والعديد من الولايات الأخرى نقلا عن الدكتور معراج أغا أن آخر ما كتب الروائي محمد ولد شيخ أغا في أواخر ١٩٣٧م ألف نص مسرحي متميز بعنوان "خالد شمشون الجزائر" بمناسبة الذكرى الأولى لوفاة الأمير خالد، مثلها أب المسرح الجزائري محي الدين بشطارزي الذي قام بتحويله إلى الدارجة و إخراجه للمسرح تتكلم هذه المسرحية عن الوطنية والحس الوطني للمجتمع وكان آخر عرض لها سنة١٩٥١م كما تكلم عنها علمين كبار من الثقافة الجزائرية الأمين العام لجمعية العلماء المسلمين محمد الأمين العمودي كما كتب منوها بقيمتها الأديب الراحل محمد ديب في صحيفة" الجزائر الجمهورية " مشيدا بالطابع الثوري للمسرحية ثم قررت السلطات الإستعمارية توقيف عرضها نظرا لما كانت تنشره من وعي وسط

الأهالي لم يعثر على هذا النص المسرحي وإختفى في ظروف غامضة وهذا ما جعل الإدراة الفرنسية تفكر في تقييد من حرية محمد ولد شيخ أغا سنة ١٩٣٧ ووضعه تحت الرقابة الإجبارية وتم تحويله من مدينة بشار الى بلدية تاغيت فمرض في الإقامة الجبرية ثم نقل إلى مستشفى في مدينة وهران في ٢١ جانفي ١٩٣٨ توفي محمد ولد شيخ أغا بعمر الزهور عن عمر يناهز ٣١ سنة، لم تتسنى له الفرصة في إكمال مشواره الأدبي يقول المترجم معراج أغا أنه بعد التحريات تبين أنه أصيب بتسمم فمرض بمرض التليف الكبدي ولم تعطى جثته لأهله لدفنه في مدينة بشار فقامت السلطات الفرنسية بدفنه بمقبرة قديمة بأعالي رأس العين الحي القديم سيدي الهواري بوهران.

ملخص الدراسة:

لقد سعت هذه الدراسة إلى تقديم نموذج للرواية الجزائرية التي واجهت الخطاب الكولونيالي في مرحلة الثلاثينيات، وهي رواية مريم بين النخيل التي قاومت سياسة الإدماج، و جسدت لنا من خلال مشاهد البؤس والحرمان و التهميش التي تعرض لها الجزائريون إدعاءات فرنسا أنها إنما جاءت إلى هذا البلد من أجل تحضيره وتنويره كما بينت الدراسة الأنساق الثقافية المضمرة التي تختفي من وراء بنية النص اللغوية .

الكلمات المفتاحية: الخطاب، الكولونيالية، الأنساق المضمرة.

Study summary

This study sought to present a model of the Algerian novel that confronted with the colonial discourse in the ١٩٣٠s, which is the novel of Maryam Among the Palms where show face of resistance against the integration policy by that time, and embodied for us through scenes of misery, deprivation and marginalization that the Algerians people were subject to them, despite the France's claims that it came to this country , In order to civilize and enlighten it, as the study showed the implicit cultural patterns that are hidden behind the linguistic structure of the text.

Keywords: discourse, colonialism, implicit patterns

فهرس المحتويات

مقدمة:.....أ

تمهيد: مدخل للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية في مقاومة الكولونيالي

١-نشأة الرواية الجزائرية باللغة الفرنسي.....٦

٢- الرواية الجزائرية و الكولونيالية.....٩

أ- مفهوم الخطاب الكولونيالي ١٠

ب ـ الخطاب المضاد للكولونيالية.....١٣

٣- تعريف رواية مريم بين النخيل.....١٦

الفصل الأول : أبعاد المقاومة في رواية "مريم بين النخيل"

١ ـ إرتباط المقاومة بالهوية ١٨

أ ـ مفهوم الهوية.....١٨

ب ـ الصراع بين الأنا و الآخر.....٢١

٢ـ مناهضة الكولونيالية في الرواية /الصراع بين الانا والاخر:.....٢٣

٣ـ دلالة العنوان و إرتباطه بالبعد المقاوم.....٢٨

٤ـ أبعاد الشخصيات المقاومة:.....٣١

الفصل الثاني : الأنساق المضمرة في الرواية

١ـ مفهوم النسق المضمر.....٤١

٢ـ تمظهرات الأنساق المضمرة.....٤٢

أ- النسق الاجتماعي / العادات والتقاليد.....٤٢

ب- النسق الديني ٤٥

ج- النسق السياسي.....٤٨
الخاتمة.....٥٣
الملحق